السلام الاجتماعي والتعايش السلمي

بدوي طه

تقديم

الشيخ/محمود عاشور

وكيل الأزهر الأسبق



السلام الاجتماعي
والتعايش السلمي

السلام الاجتماعى والتعايش السلمى

تأليف

بدوي طه

تقديم

فضيلة الشيخ محمود عاشور

وكيل الأزهر الأسبق

عضو مجمع البحوث الإسلامية



السلام الاجتماعي والتعايش السلمي

تأليف
بدوي طه محمد

الكتـــــاب: السلام الاجتماعي والتعايش السلمي
المؤلـــــف: بدوي طه محمد
تاريــخ النشر: ٢٠١٠ م
الطبعــــة: الأولى
رقــم الإيداع: ٢٤٠٠٤ / ٢٠١٠ م
الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-463-058-3

الناشـــــر:
دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
الإدارة والمطابع:
١٢ شارع نوبار لاظوغلي (القاهرة)
تليفون: ٠٠٢٠٢٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس: ٠٠٢٠٢٢٧٩٥٤٣٢٤
التوزيـــــع:
٣ شارع كامل صدقي الفجالة - القاهرة
تليفون: ٠٠٢٠٢٢٥٩١٧٩٥٩
www.darghareeb.com

إهداء

إلى الحكماء وصانعى السلام

إلى أصحاب الضمائر الحية

إلى محبى السلام والعدل والحق

إليهم جميعًا

أهدى هذا الكتاب

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتقريظ

بقلم / فضيلة الشيخ محمود عاشور
وكيل الأزهر الأسبق
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ . وبعد:

فقد كُتبت الأسفار فى سيرة رسول الله ﷺ ، وستكتب أسفار أخرى كثيرة، فهو ﷺ جمع المحاسن كلها، ويكفى أن المولى عز وجل امتدحه قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا النموذج الرائع جاء مثلا أعلى وقدوة للناس جميعًا، ليقتدوا ويتأسوا به ﷺ . وهذا توجيه رب العزة جل وعلا حين قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ ليظل الرسول ﷺ يعيش فى قلوبنا وفى نفوسنا وفى ضمائرنا، ونظل نسير على هديه ونسلك سلوكه ونتبع سنته، فنعيش في خير ونحيا الحياة الطيبة الخيرة.

فقد كان ﷺ مجمعا للخير جمع المحاسن كلها، فكانت كل الصفات الخيّرة فى رسول الله ﷺ ، وقد قال لنا ﷺ : «الخير فيّ وفى أمتى إلى يوم القيامة»، الخير كله مجتمع فى رسول الله ﷺ ووزع على أمته فأخذ كل مسلم بطرف من هذا الخير، فحين نجمع الخير المفرّق فى الأمة الإسلامية جميعًا نجده الخير الذى اجتمع فى المصطفى ﷺ ، هذا النبى العظيم الذى لم يحمل حقداً ولا عداوة ولا ضغينة لأحد، وإنما يحمل رحمة وحبا للدنيا بأسرها.

وكان حنانه ﷺ ورقته مضرب الأمثال، حتى مع الذين كانوا يحاربونه ويتصدون لدعوته ويقفون له بالمرصاد، وحسبنا جميعا قوله ﷺ : «إنما أنا رحمة مهداة»، وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

فكان ﷺ ينبذ العصبية ويبتعد عن العنصرية وينهى عنها؛ ألم يأمر المسلمين حين ضاقت عليهم مكة واشتد إيذاء المشركين لهم بالهجرة إلى الحبشة، وقال لهم: «إلى الحبشة فإنها أرض صدق وإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحد»؟! وكان ملكها النجاشى وكان نصرانيا، ليؤكد للدنيا بأسرها أن فى ديننا فسحة.

مسيرته ﷺ حافلة جسدّها فى هذه الدراسة الأستاذ **بدوى طه** ليقدم للمكتبة الإسلامية خدمة جديرة وجليلة جلَّى فيها كثيرا من تسامح رسول الله ﷺ وسيرته العطرة وبيّن ما قام به رسول الله ﷺ من عفو وصفح وتسامح حتى مع الذين آذوه وأخرجوه وقتلوا أصحابه. كما أنه أقام أول وحدة وطنية فى الدنيا بأسرها فى ميثاق المدينة أو عهد المدينة. ووصاياه ﷺ للجيش المحارب: «لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا شيخًا ولا صبيا ولا امرأة، ولا تحرقوا نخلا ولا تقطعوا شجراً وستجدون قوما يتعبدون فى الصوامع فاتركوهم وما يدينون». أرأيتم كيف كان النبى ﷺ يوجه إلى تحقيق الطمأنينة والاستقرار والأمن للمجتمعات. فأمر بعدم محاربة المدنيين الآمنين أو تناول البلاد التى يحارب فيها الجيش الإسلامى بالتخريب والتدمير، كما أن دور العبادة لا ينبغى المساس بها أو العدوان عليها أو منع غير المسلمين من أداء شعائرهم. فقد كان الرفق ديدنه فى كل أمر يأمر به، ويحث عليها.

وقد وصفه ربه بالرءوف الرحيم، وقال لنا ﷺ : «إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه». كان ﷺ هاشًا باشا لم يغضب قط إلا إذا انتُهكت حرمات الله وأوصانا: «يسّروا ولا تعسروا وبشّروا ولا تنفروا» ، وقوله: «ومن يسّر يسرّ الله له، ومن شدد شدد الله عليه».

أقدّم لكم هذه الدراسة «**السلام الاجتماعى والتعايش السلمى**» فقد جمعت كثيـرًا مما ينبغى أن يُعلم وأن يُطبق حتى تكون أمـة محمد ﷺ الأمـة الخيرّة التى قال فيها ربنا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ فعلى شـبابنا أن يقـرأ ليتـأسى ويقتـدى ويسير على الـدرب ويتبع خطى الحبيب المصطفى ﷺ حتى يشب وينشأ كما ينبغى وكما يجب، وأن يأخذ خطوات جادة وسـريعة نحو قيم الإسـلام وأخلاقه فيحـقق أمل رسول الله ﷺ فى أمة متـحابة مترابطة مـتعاونة تحقق الأمن والأمان والسـلام والرخاء لمجتمـعاتها حتى تنعم بحـياة سعـيدة يسودها الاسـتقرار؛ لأنهـا قامت على أسس مـتينة وعلى ركائز قوية .. رسم معالمها رسول الله ﷺ .

الشيخ / محمود عاشور

وكيل الأزهر الأسبق عضو مجمع البحوث الإسلامية

القاهرة فى ١٦ من ربيع الآخر ١٤٣٠ هـ

١٣ أبريل ٢٠٠٩ م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الواحد الوهاب ؛ أرسل رسولهُ شاهداً ومبشراً ونذيرا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا، والصلاة والسلام على رسول رب العالمين النبى الأمين، خاطبه ربه قائلا: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل: ١٢٥) فضرب أروع الأمثلة فى التعايش السلمى بين الأمم وسماحة الإسلام والسعادة الروحية والأمان والسلام النفسى والتحضر فى المعاملة وكان نبراسًا للأمم والشعوب، وبعد:

يسعدنى أن أتقدم بهذا الكتاب «**السلام الاجتماعى والتعايش السلمى**» إلى قراء العربية، انطلاقا من أهمية البحث العلمى فى خدمة المجتمع، آملا أن يكون سببا فى تشجيع الشباب على البحث والاطلاع والتزود بالعلوم والمعارف الرشيدة النافعة التى تقيهم مخاطر الوقوع فى براثن الفكر المضلل وتحميهم من التطرف والتشدد، ليكونوا عناصر نافعة لمجتمعهم وأمتهم ويبرهنوا على وسطية الإسلام واعتداله، مسترشدا ببعض الأحداث من السيرة النبوية المباركة - على صاحبها الصلاة والسلام - التى تبين لنا رحمة رسول الإسلام ﷺ بالناس عامة، وحسن معاملته للشعوب والأمم غير المسلمة ورحمته مع مخالفيه من المشركين، وكيف كان التعايش السلمى أحد أهم سمات الدولة الإسلامية فى عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين رضوان الله عنهم، وكيف أن الإسلام يحترم النفس البشرية باعتباره أول من اعترف بحقوق الإنسان قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، مما يدل على عالمية الإسلام ورحمته وسماحته ووسطيته.

واليوم ونحن نحتفل باليوم العالمى لحقوق الإنسان لابد من التركيز على تعزيز مبدأ المواطنة الذى تنص عليه المادة الأولى من الدستور المصرى، ولابد كذلك من تطوير ثقافة المجتمع بخصوص هذا الموضوع وترسيخ المواطنة فى وجدان المجتمع المصرى باعتبار أن المجتمعات مدعوة بأمر الله للتعارف والتعايش.

وتناولت تعريف السلام الاجتماعى بما يشكله من حصانة للمجتمع، وأهمية تحصين الشباب والنشء لحمايتهم من التشدد والتطرف والإرهاب، وتقوية الجبهة الداخلية باعتبار الشعب كله وحدة واحدة متماسكة فى مواجهة أى تيارات أو فتنة بما يعد أروع دليل على ما يتمتع به المجتمع المصرى من وحدة وطنية التى هى الحصن الحصين والسياج المنيع الذى يحمى أمن الوطن واستقراره ويحقق أمانه وهدوءه الذى ينعم به الشعب كله.

وأكدت أن الشعب المصرى مسالم بطبعه، ويميل للسلام ويتمتع بالأمن والأمان، وأنه شعب حضارى، وأن طبيعة هذا الشعب المسالم امتزجت بأعماقه، وأن كل المحاولات الطائشة لم ولن تستطيع أن تؤثر فى وحدة هذا الشعب العظيم وتماسكه وتعايشه السلمى، وما ينعم به من سلام اجتماعى.

كما تناولت أيضا متابعة الرئيس مبارك الدائمة واهتمامه الدقيق لبرامج الحكومة من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية ومراعاة محدودى الدخل والارتقاء بالخدمات، ورفع مستوى المعيشة لجميع المواطنين دون تفرقة باعتباره رئيسا لكل المصريين، وتأكيده أن قضيتى العدالة الاجتماعية والمواطنة تأتى فى مقدمة أجندة العمل الوطنى، من خلال الإصلاح الدستورى والسياسى.

وقد سلَّطت الضوء على موقف الإسلام من أصحاب الديانات الأخرى، والتعايش بين الشعوب، والتسامح فى الإسلام واحترامه لهوية الآخرين، وميثاق التعاهد بين المسلمين واليهود، وذلك كله لإظهار عظمة وروعة وسماحة الإسلام

ورحمة نبيه خير الأنام عليه الصلاة والسلام الذى نأخذ من سيرته العطرة الدروس المستفادة التى تقوينا أمام أمواج الإلحاد وتيارات الانحراف ومغالات المشككين، فوسطية الإسلام لا تعرف غلوا ولا تطرفا، وأن المسلمين يحبون التعايش مع مختلف الأمم والشعوب بالتعاون وروح المحبة ونبذ العنف والكراهية والتطرف.

وأشرت إلى توصيات مؤتمر حوار الأديان الذى عقد فى مايو الماضى عام ٢٠٠٧ بدولة قطر والذى أكد المشاركون فيه أن التعايش السلمى بين أتباع الديانات السماوية الثلاث مسألة أساسية ومهمة ومن الواجب تأكيدها والحفاظ عليها فى جو يسوده احترام الحق والواجب بين البشر .

وهذا الكتاب يهدف إلى وضوح الحقيقة بخصوص علاقة المسلمين بغيرهم فى المجتمع والتعايش السلمى الذى يتمتع به الشعب المصرى والسلام الاجتماعى الذى ينعم به الشعب فى مزيج واحد لا فرق بين مسلم ومسيحى؛ فكلنا مصريون متساوون فى الحقوق والواجبات بنص الدستور، والكل ينعم بممارسة شعائره بحرية، كما تؤكد القيادات السياسية والتنفيذية والرموز الدينية الإسلامية والمسيحية فى كل المناسبات أن المصريين شعب واحد، تمتزج وحدتهم الوطنية بنسيج واحد وكلهم أبناء وطن واحد، وأن مصر ستظل واحة للأمن والأمان.

وجميعهم يشيدون بعمق العلاقات الإنسانية التى تربط أبناء مصر جميعًا مسلمين ومسيحيين، وهذا هو السلام الاجتماعى متجسدا على أرض الواقع على جميع المستويات؛ بما يؤكد أن العلاقة بينهم مشرفة وتتمتع بمناخ ديمقراطى ملؤه المحبة، ويتجلى ذلك فى تهنئة المسيحيين المسلمين بعيد الفطر وعيد الأضحى وزيارة البابا شنودة لشيخ الأزهر بمقر مشيخة الأزهر مع وفد من القيادات المسيحية للتهنئة بالعيد وكذلك يقوم شيخ الأزهر ووزير الأوقاف ومفتى الجمهورية بزيارة قداسة البابا شنودة فى كنيسة الكاتدرائية بالعباسية للتهنئة بعيد الميلاد المجيد

وإرسال وفد من الأزهر الشريف لتهنئة الأخوة المسيحيين فى الكنائس المختلفة بعيد الميلاد المجيد والمشاركة الرسمية فى القداس لتهنئة إخوانهم المسيحيين وجميع الطوائف المسيحية تعبيرا عن روح المحبة بين شعب الوطن الواحد شركاء الكفاح والبناء والسلام الاجتماعى وهذه هى الوحدة الوطنية فى أروع صورها ردّاً عمليا على الحاقدين وأعداء الوطن.

أما على المستوى الرسمى للدولة فإن الرئيس مبارك - رئيس كل المصريين- يهنئ جميع الأخوة المسيحيين فى مصر وعلى رأسهم البابا شنودة والقيادات المسيحية للطوائف الأخرى الكاثوليكية والإنجليكانية، ويوفد مندوبين للتهنئة وحضور القداس والاحتفالات بعيد الميلاد المجيد، كما يرسل برقيات تهنئة للأقباط بالخارج.

وعلى مستوى الأفراد العاديين فإنهم يتبادلون التهنئة والزيارات فيما بينهم فى جو من الحب وروح التعاون والمحبة والتعايش السلمى بين أفراد المجتمع، زملاء فى الدراسة والعمل وجيران فى المسكن وشركاء فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهذا تجسيد حقيقى لحقيقة السلام الاجتماعى والتعايش السلمى.

قضايا كثيرة تحدثت عنها فى هذا الكتاب ؛ منها العلاقة بين المسلمين وغيرهم، والتعريف بالإسلام، وفضل الإسلام على الحضارة الغربية، وحرية العقيدة وحقوق الإنسان فى الإسلام، والوحدة الوطنية والتعاون والدفء الاجتماعى والعلاقات الوطيدة التى تضرب جذورها فى أعماق التاريخ بين عنصرى الأمة، وإيمان الحزب الوطنى وحكومته واهتمامهما بدعم حقوق المواطنة وتعزيز مسيرة الديمقراطية باعتبارهما أركان عملية التنمية الأساسية وتعزيز حقوق المواطن ودعم الحياة الحزبية وحرية الرأى والتعبير وحرية الصحافة، وغيرها من

الموضوعـات المهمة التـى تسهم فى تحقـيق السلام الاجتـماعى والتعـايش السلمى الذى يحـمى المجتـمع ويحصـنه من الغلو والتطرف ويحـقق التعـايش بين الأديان والسعادة الروحية والسلام النفسى لمجتمعنا.

وفقنا الله جميعًا لكل ما فيه الخير لخدمة الإسلام والبلاد والعباد.

والحمد لله رب العالمين.

بـــدوي طـــه

ذى الحجة ١٤٢٨هـ

ينـــايـــر ٢٠٠٨م




الفصل
الأول

السلام الاجتماعي

تعريفه:

المقصود بالسلام الاجتماعي هو تحقيق العدل الاجتماعي، وأن تكفل الدولة المعيشة اللائقة لأفرادها، وتحقق تكافؤ الفرص بين جميع أفراد المجتمع، والسلام الاجتماعي يمثل حصانة للمجتمع، ويرسخ مفهوم السلام الداخلي للفرد واحترام القانون، وتعتبر العدالة الاجتماعية ركنا أساسيا من أركان السلام الاجتماعي، وهي تعني أن يحصل كل شخص على فرص يستحقها بجهده وعرقه دون محسوبية أو واسطة.

السلام الاجتماعي يتطلب حل المسألة الاجتماعية على صورة تُمحى معها المظالم ويُشاد - يُبنى - على أنقاضها صرح العدل الاجتماعي، فلا تكون سعادة طائفة منتزعة من شقاء الآخرين ولا يكون الرخاء المادي لقوم مشتقا من بؤس أقوام، ولا يكون جماعة وكأنهم ولدوا للنعيم، وجماعات وكأنهم ولدوا للعذاب، وقلة وكأن أفرادها قد قُضي لهم بأن يكونوا سادة، وكثرة قضي عليهم بأن يظلوا عبيدا، بل تكفل الدولة لكل فرد حداً أدنى للمعيشة، وتضمن تكافؤ الفرص لجميع المستظلين برايتها[(١)].

(١) انظر كتاب السلام الاجتماعي تأليف عبد المجيد نافع المحامي ص (٧).

فالسلام الاجتماعى إذن يعنى أن تكون الجبهة الداخلية قوية، وحدة واحدة، متماسكة، صامدة فى مواجهة أى تيارات أو فتنة بما تشكل حصانة للمجتمع توقظ همته وتحفزه على العمل والإنتاج والتنافس العلمى والمعرفى النافع وكذلك التحصين الحقيقى للنشء وغرس الانتماء فى نفوس الشباب الذى يعود بخيره على المجتمع كله ويحميه فى نفوس الشباب الذى يعود خيره على المجتمع كله ويحميه من التطرف والإرهاب، ويحفظ وحدته . وهذا يتطلب تضافر الجهود فى المجتمع كله بوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة والمدرسة والجامعة والمسجد والكنيسة ومراكز الشباب والنوادى ووزارة الثقافة، والأحزاب والجمعيات الأهلية، كل فى مجاله يركز على تأصيل الانتماء لكل أبناء الوطن وغرس روح المحبة والتعاون والإخاء وكل معان المواطنة وحب الوطن فى نفوس الشباب والطلبة وغرس روح الوحدة والتماسك بين أبناء الشعب كله بمختلف انتماءاته بما يحقق الخير والسلام والأمن والأمان والرخاء ويحصّن المجتمع ويحفظه .



عصب السلام الاجتماعى

تعتبر التنمية الطريق الأساسى للوصول إلى الأمن الغذائى الذى يحقق نوعا من التوازن بين الأغنياء والفقراء بما يوفر قدرا معقولا من السلام الاجتماعى ولا شك أن البيئة السياسية والاجتماعية والاقتصادية المواتية التى يسودها السلام والاستقرار هى الركيزة الأساسية التى تمكن الدولة من جعل أولوية كافية للأمن الغذائى واستئصال الفقر كما أن الديمقراطية وتعزيز حماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية بما فيها الحق فى التنمية والمشاركة الكاملة والمتكافئة للرجال والنساء هى عوامل جوهرية لتحقيق الأمن الغذائى، ولا شك أن تربية المواطن على الانتماء بما يؤهله للمشاركة فى العمل العام منذ البداية لا تتأتى إلا عن طريق توفير التعليم الجيد منذ المرحلة الابتدائية وحتى انتهاء المرحلة الثانوية بما يحقق التنمية البشرية اللازمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ولايتأتى ذلك إلا عن طريق توفير الرعاية الصحية الشاملة والمستوى المعيشى المعقول عن طريق دعم الأسر الفقيرة كمرحلة أولية لا يمكن الاعتماد عليها دوما لأن التنمية هى الطريق الأفضل لتحقيق السلام الاجتماعى والقضاء على البطالة والفقر، فلا ننسى أن الدعم لا يمكن أن يقف فى مواجهة الارتفاع الجنونى للأسعار ما لم تقم الدولة بدور فعال لضبطها والضرب بيد من حديد ومواجهة الأطراف المتسببة فى ذلك ولا ننسى أيضا أن الفقر سبب رئيسى لانعدام الأمن الغذائى، ولذلك فإن

التقدم بخطى مطردة نحو استئصال الفقر أمر حاسم لتحقيق فرص الحصول على الغذاء كما أن للصراع والإرهاب والفساد والتدهور البيئى دورا ملموسا فى انعدام الأمن الغذائى ويقتضى الأمر زيادة إنتاج الأغذية بما فيها الأغذية الأساسية، وينبغى أن يتحقق ذلك فى إطار الإدارة المستديمة للموارد الطبيعية والقضاء على أنماط الاستهلاك والانتاج التى تتجاهل مقتضيات الاستدامة وتحقيق استقرار سريع فى عدد السكان وتقدير ما تقدمه النساء من مساهمات أساسية فى تحقيق الأمن الغذائى وخاصة فى المناطق الريفية، ومن ثم يجب أن يكون إنعاش هذه المناطق من الأمور ذات الأولوية من أجل توطيد الاستقرار الاجتماعى والمساعدة على مواجهة المعدلات المفرطة للهجرة من الريف إلى المدن ولأن مصر شهدت زيادة سكانية كبيرة خلال العشر سنوات الماضية بحوالى ٢٤ ٪ تشكل الإناث حوالى ٤٩٪ من حجم السكان ويعيش حوالى نصف المصريين فى المناطق الريفية فإنه يجب التعاون والتكاتف من أجل مواجهة هذا الوضع وأثره على تحقيق التنمية ومن ثم القضاء على الفقر أو الحد منه بدلا من اللجوء المستمر إلى الدعم الذى لا يتحقق فى الواقع من ناحية ويشكل عبئا على الميزانية من جهة أخرى فزيادة السكان مشكلة مجتمعية تجب مواجهتها لضمان حياة أفضل للأبناء ومن ثم يكون من الضرورى تأهيل المرأة من أجل تفعيل دورها لأهميتها فى تشكيل هوية الإنسان المصرى فهى التى تربى الأولاد وتشارك الزوج فى تكوين الأسرة كما أن العمل على محو أمية المرأة وتعليمها مهنة يؤكد ما تشير إليه المؤشرات من العلاقة الارتباطية بين التعليم ومعدل الإنجاب،

وأن البحوث والدراسات كشفت عن أن معدلات الإنجاب تختلف حسب تعليم الزوجة وعن ضرورة العمل على تغيير بعض الموروثات الخاطئة مثل عادة تفضيل الذكور على الإناث خاصة فى المناطق الريفية ومن ثم يصبح العمل مع الجهات الحكومية والجمعيات الأهلية والإعلام أمرا ضروريا لأن مواجهة الزيادة السكانية غير المرشدة تستنزف الدخل القومى وتفرز العديد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التى تحول دون تحقيق الرفاهية للمواطنين ولا يغيب عن البال البعد العالمى للمشكلة، فصحيح أن الغذاء الكافى حق إنسانى وأن الالتزامات تجاهه تطبق دوليا وأن الحقوق وما يقابلها من الالتزامات لا تنتهى عند الحدود الوطنية وأن المجتمع الدولى ملزم بأن يخلق ظروفا من شأنها أن تنهى الجوع فى العالم إلا أن الأهم من ذلك هو التكاتف من أجل التنمية المستديمة فى الدول الفقيرة حتى يمكنها أن تقف جنبا إلى جنب باقى الدول فى ظل قوانين ومبادىء منظمة التجارة العالمية، ولن يتأتى ذلك إلا بعد خطوات متعاقبة تبدأ بالإعفاء من الديون التى تثقل كاهل الدول النامية ثم تقديم المنح المشروطة بالتنمية والتزام كل الجهات المانحة والدول المتلقية بذلك وهذا يقتضى السعى فى إيجاد نظام دولى متكامل فى إطار الأمم المتحدة لإدارة المساعدات الدولية ذات الصلة بدعم مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية [1] .



(١) انظر الأهرام المسائى مقال «التنمية عصب السلام الاجتماعى» للدكتور نبيل بشر الخبير فى القانون الدولى بتاريخ ٦ / ١ / ٢٠٠٨ ص ٦ .

التضامن الاجتماعي

الفرد للمجموع والمجموع للفرد، عبارة طبقت فى الماضى وتطبق فى الحاضر، والشرائع السماوية تدعو إليها؛ إذ تدعو الإنسان لأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وتهديه إلى أن المجتمع الإنسانى كالجسم إذا شكا منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وأن الإنسان للإنسان كالبنيان يشد بعضه بعضا.

والأخلاق تفيض بالتحدث عن مزايا التضامن لتحقيق السلام الاجتماعى، والتضامن الاجتماعى أساس النهضة والرخاء ومبعث السلام والرقى والعدل الاجتماعى.

والفرد عليه واجبات للمجتمع، تفرض عليه التضامن فى الخير والشر والمنحة والمحنة، كما أن له حقوقا عند المجتمع، والدولة هى التى تحدد تلك الواجبات والحقوق تحديدا صحيحًا وتحمل الفرد والمجتمع على احترامها والعمل على ما يحقق التوازن الاجتماعى[1].

والمجتمع المصرى بحمد الله، مجتمع يقوم على التضامن الوثيق بين الإنتاج الفكرى والإنتاج المادى دون تفرقة بين جنس أو لون أو عقيدة وهذا هو سر الارتقاء وتعميق الانتماء للوصول إلى الرقى والتقدم بالعمل الدءوب لكل المصريين الذين ينعمون بالسلام الاجتماعى

(١) انظر السلام الاجتماعى للأستاذ عبد المجيد نافع المحامى بتصرف من ص ٣٠-٣٢.

والتضامن بين الطبقات، فالشعب وحدة واحدة، ولذلك يبذل الجميع كل ما بوسعه للإصلاح والبناء للوصول بالبلد إلى أحسن الأحوال اقتصاديا وعلميا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا، والتقدم على كل المستويات لمسايرة التطور الإنسانى وتحقيق الرخاء.



التعاون والدفء الاجتماعي

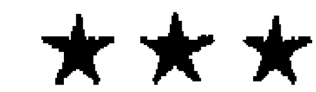
إن الروح السائدة فى المجتمع المصرى تعبر عن سماحة الإسلام وسماحة الأديان بما تنعكس على الناس فى تعاملاتهم وعلاقة الصداقة الطيبة بين المسلمين والمسيحيين باعتبارهم شركاء فى الوطن والعمل والمدرسة والجامعة تجعل الناس بعيدين عن التطرف والتشدد والمغالاة، وتساعد على التعاون الصادق بين أبناء الوطن وتقوية روابط المحبة والمودة والأخوة الصادقة والخير والأمان والاطمئنان.

أيضًا من عوامل السلام الاجتماعى والتعايش السلمى اشتراك رجال الدين الإسلامى والمسيحى فى الندوات التثقيفية التى تؤكد الوحدة الوطنية وتنبذ التطرف وتحاربه وتدعو إلى مكارم الأخلاق وخدمة المجتمع وما يعود على الأمة بالخير ويعم الأمن والأمان والدفء الاجتماعى.

والأديان السماوية كلها تدعو الناس إلى إقامة علاقة فيما بينهم قوامها المحبة وحسن التعامل والتعاون والتآخى واحترام مشاعر الآخرين، وتبادل المنافع.

السلام الاجتماعى يعنى أن يكون البلدِ نسيجًا واحدًا، يجمعهم ترابط وطنى وأخوى وأهداف وطنية يتزاورون، ويهنئون بعضهم بعضا فى المناسبات السعيدة، ويعزون بعضهم بعضا فى الأحزان، ويقفون بجوار بعضهم فى وقت الشدة وعند الحاجة إليهم ويزور الصحيح

المريض وكل ذلك بروح المحبة والفهم الصحيح لعلاقة المسلم بغيره. وكلها قيم طيبة تحث عليها كل الأديان وهى متوافرة وموجودة فى بلدنا مصر العزيزة حماها الله .




الفصل
الثانى

التعريف بالإسلام

التعريف بالإسلام قضية مهمة جدا وتقع على عاتق مؤسسات عدة منها الأزهر الشريف ومجمع البحوث الإسلامية بلجانه المختلفة، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ومنظمة المؤتمر الإسلامى ورابطة العالم الإسلامى ورابطة الجامعات الإسلامية، والمسلمون والمراكز الإسلامية فى أوروبا وغير ذلك مما يصحح الصورة لدى الغرب عن الإسلام وإزالة الغبار، والتعريف الصحيح بجوهر الدين وسماحة الإسلام وبيان أن الحوار بين الإسلام والغرب هو أفضل الطرق للتعريف بالإسلام وأن حوار الحضارات أهم بكثير من تصادمها، ودور الإعلام فى التعريف بالإسلام مهم جدا.

وحول هذا المعنى عقدت رابطة الجامعات الإسلامية ندوة علمية بالمعهد السويدى بالإسكندرية بعنوان «الإسلام والغرب .. خلافات تاريخية متجددة» أكد خلالها الدكتور جان هينجسون مدير المعهد أن سلوك المسلمين وتعاملاتهم فى الغرب والاحتكاك معهم فى شتى شئون الحياة الاقتصادية والاجتماعية أفضل صورة للتعريف بالإسلام لدى الغرب، فالاحتكاك هو السفير الممتاز للإسلام فى السويد والغرب.

وأشار مدير المعهد السويدى بالإسكندرية إلى أن عدد المسلمين فى السويد يصل إلى ٣٥٠ ألف مسلم من دول مختلفة مثل تركيا ونيجيريا وغيرها من الدول وأتمنى أن يكون المسلمون فى السويد

أفضل مدرسين ومدرسات لتعليم الإسلام فى السويد من خلال الاحتكاك المباشر مع السويديين.

وأوضح الدكتور جان هينجسون أن العلاقات بين الإسلام والغرب تمتد إلى زمن بعيد، حيث بدأت منذ ظهور الإسلام فى القرن السابع الميلادى وامتدت حتى اليوم، ومرت هذه العلاقات بأطوار متعددة وكان طابعها السلام والمودة فى الصراع والحروب لفترات طويلة ونتطلع الآن إلى سيادة السلام والتعاون بين البشر فى كل أنحاء العالم.

أما الدكتور عبد الله التركى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى فدعا إلى بذل المزيد من الجهود للتنسيق والتعاون بين رجال الدين والفكر والثقافة وصانعى القرار فى كل دول العالم العربى والإسلامى من أجل الاهتمام بالأبحاث العلمية الموثقة والإعلام لتفعيل الحوار بين الإسلام والغرب والتركيز على أسس الاتفاق بين المسلمين والغرب وتجنب السلبيات والتركيز على الإيجابيات بين الجانبين وتقليل الفجوة الموجودة حاليا والعمل معا لمصلحة البشرية.

وطالب بدراسة الأسباب التى أدت إلى سوء الفهم بين العالم العربى والغرب، ومن بينها حصول الغرب على معلومات مغلوطة عن المسلمين من غير مصادرها الموثوقة أدت إلى تشويه صورة المسلمين فى الغرب .

كما طالب بتطوير المناهــج الدراسية وكتب التاريخ التى تدرس فى الغرب لتـصحيح صورة الإسـلام وتنمية العـلاقات مع الغرب منتقـدا ما يردده البعض بحـتمية الصـراع بين الحضارة الإسـلامية والغربيـة وكذلك مــا يوجهـه بعض المثقفـين وقادة الرأى الغربيين من نقد لأحكام الشريعة الإسلامية وما يمثله من إساءة لمشاعر المسلمين والعرب[1].



(١) الأهرام صفحة الفكر الدينى متابعة الزميل أحمد عبد الفتاح بتاريخ ٢٠/ ١١/ ٢٠٠٧ .

الإسلام..وحقوق الإنسان

فى أرض عرفات خطب الرسول محمد ﷺ خطبته الشهيرة التى وضع فيها مبادئ «حقوق الإنسان» والميثاق الذى ينبغى أن يتعامل به البشر قبل أن يعرف الناس هذه الحقوق والمواثيق .. هذه حقيقة مهمة .

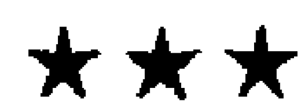
والحقيقة الثانية المهمة أيضًا أن الإسلام بتعاليمه الفاضلة وأحكامه السامية يحمى دماء وكرامة وأموال وممتلكات الجميع حتى مخالفيه فى العقيدة .

حقيقة ثالثة مهمة ؛ هى أن ديننا أبطل الربا لحماية البنيان الاقتصادى للمجتمع وعدم إهدار ثروات البلاد.

بهذه الحقائق بدأ فضيلة الشيخ سيد وفا حسن - الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - كلامه عن سبق الإسلام فى إقرار حقوق الإنسان وحمايتها وأهمية اختيار الرسول ﷺ أرض عرفات الطاهرة لإعلان مبادئ حقوق الإنسان من فوقها فى خطبة الوداع التى ألقاها فى حجة الوداع .

وأضاف : لم يعرف غير المسلمين على امتداد التاريخ الإنسانى كله هذا النوع المهم من المواثيق إلا منذ زمن قريب، ورغم ذلك فهى أقرب ما تكون حبرا على ورق؛ لأنهم يتعاملون معها من منطلق دعائى إعلانى بحت، فلا تزال الأموال تُسلب من الضعفاء والدماء تُراق والحق مع القوى الغالب.

أما ما قرره الرسول الكريم ﷺ فى هذا المشهد العظيم فى حجة الوداع فقد بقى نظاما يعمل وقانونا يطبق فى حياة المسلمين ومع غيرهم على مدى نحو خمسة عشر قرنا من الزمان ولا يزال مطبقا وفاعلا حتى الآن وسيظل حتى قيام الساعة فقد طبقه المسلمون عملا لا قولا، وجعلوه منهجا لهم فى الحياة حين كانت الدولة لهم والقيادة بأيديهم ... لقد طبقوه على الغنى والفقير والقوى والضعيف والمسلم وغير المسلم ؛ فكان نظاما لهم فى حياتهم[1].



(١) مجلة أفق - دورية يصدرها معهد الأهرام الإقليمى للصحافة - ديسمبر ٢٠٠٧.

حرية العقيدة وحقوق الإنسان في الإسلام

لقد أعلن الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ضرورة الإقرار بحقوق الإنسان التى تشمل البشر جميعًا بلا استثناء، على أساس المساواة المبدئية بين الناس جميعا، وبناءً على الكرامة والحرية الفطريتين، ومن هنا ينظر الإسلام إلى هذه الحقوق على أنها ضرورات إنسانية .

ويشهد التاريخ أن الإسلام لم يكتف بإقرار حقوق الإنسان وإعلانها، بل إنه أدخلها بنجاح باهر فى كل البلاد التى كان المسلمون فى عصر الازدهار الحضارى الإسلامى يحكمونها، ولقد تحقق ذلك لأن الإسلام أقر صراحة حق كل إنسان فى الحرية كما أقر التعايش السلمى الإيجابى بين الثقافات والأديان ؛ بمعنى أنه أقر التعددية الثقافية والدينية والتسامح مع المختلفين فى الدين .

والحرية الدينية تندرج فى إطار حقوق الإنسان العامة التى يعتبرها الإسلام مبادئ وقواعد قاطعة يقوم عليها كل نظام اجتماعى عادل.

ومن هنا تعد الحرية الدينية فى نظر الإسلام مبدأ طبيعيًا، وهذا يعنى أن من طبيعة الإنسان أن تتاح له الحرية فى أن يؤمن وفى ألا يؤمن بما شاء، وعندما تتاح له ممارسة حريته فإن ذلك يعنى إتاحة الفرصة أمامه لتربية نفسه تربية ذاتية، وبالتالى يكون مهيأ لممارسة التدين الصادق [1].

(١) انظر كتاب «الإسلام وقضايا الحوار» للدكتور حمدى زقزوق بتصرف ص ١٨٩ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

إن التسامح الذى يأمـر به الإسلام لا يعنى مجرد قبـول التعايش مع الأديان والحضارات الأخرى فـحسب، بل يعنى أيضا احترامـها والتعاون معها، ويتـرتب على ذلك الحفـاظ الناجح على حقـوق الإنسان العـامة، وبخاصة الحـرية الدينية، وهذا التسامح الإيجابى - الذى يعـد شرطا أوليّا لأى ازدهار حـضارى كمـا هو معـروف - قد مكن الإسـلام من الازدهار والتقدم الذى استـمر على مدى قرون عديدة، وكان له تأثيـر واضح ومثمر على تطور أوروبا ذاتها فى القرون الوسطى وما بعدها.

وقد نعم المسـيحيون واليهـود فى ظل حكم الإسلام فى الأندلس - على سبـيل المثال - بهذا التسـامح الإيجابى الذى قام على أساسـه تعاون مثمر مع المسلمين نهضت من خلاله الثقافة فى الأندلس نهضة عظيمة .

وإذا كانت كـل الأديان تعد سبـلا منزلة من السمـاء تؤدى إلى الله، كما يبين لنا القرآن، فمن البديهى أن يعتـرف بها كل المؤمنين اعترافا قوامه التسامح الإيجـابى لا مـجرد التـسامح السلبـى، فالإسـلام لم يقر فـقط التعددية الثقافية، بل أقر أيضًا التعايش السلمى الإيجابى بين الأديان [1].

إن الإسلام يعـد أول دين أكد ضرورة الحـوار الصريح بين الأديان؛ وقد تمكن من اتخـاذ هذا الموقف ؛ لأنه أول دين يعتـرف بوضوح بالأديان السمـاوية جميـعها بوصـفها طرقا إلى الله، ولـيس هناك فى نظر الإسلام فرق من الناحية المبدئية بين هذه السبل، والأمر المهم فى هذا الصدد هو أن يحـرص أتباع هذه الأديان على الصدق والإخلاص فى العـمل من أجل إقرار موازين العدل، يقول القرآن الكريم:

(١) السابق ص ١٩٨ ، ١٩٩.

﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. (العنكبوت الآية ٤٦)

وقد أعلن النبى ﷺ أمام جميع أسرى الحرب وسكان المناطق المفتوحة إعلانا واضحا صريحًا أن لهم أن يقرروا بأنفسهم وفى حرية أمر دينهم، وأنهم لن يُكرَهوا بحال من الأحوال على الدخول فى الإسلام، فقد كان يعطى حرية اتخاذ القرار فى شأن العقيدة أهمية كبرى، وكان لهذا السبب لا يفتأ يحذر من أى محاولة لإجبار أحد على الدخول فى الإسلام، وقد كتب فى إحدى رسائله إلى أهل اليمن.

«إنه من كان على يهودية أو نصرانية فإنه لا يُفتن عنها» (١).

إن التاريخ يذكر لنا أن السلطان صلاح الدين الأيوبى قد عامل الصليبيين بعد أن انتصر عليهم معاملة تعبر تعبيرًا واضحا عن المفهوم الإسلامى للعدل والتسامح وكان سلوكه فى هذا الصدد مستلهما من مبدأ الرحمة التى تعد - فى نظر الإسلام - الوجه الآخر للعدل، ولم يكن متبعا لمبدأ الشرعية وحده.

يقول الدكتور سعيد عبد الفتاح فى هذا الموضوع:

لعل أهم ما يستدعى الانتباه فى ذلك الدور من أدوار الحروب الصلاحية - أى حروب صلاح الدين الأيوبى - رحمه الله - التى انتصر فيها على الصليبيين هو اعتدال صلاح الدين وبُعده عن التطرف، وتمسكه بمبادئ الأخلاق والرحمة والتسامح، وهو الأمر الذى شهد له به جميع

(١) راجع السابق ص ٢٠٤ بتصرف، وكتاب الأموال لأبى عبيدة.

المؤرخين، الغربيين والشرقيين على السواء، ولم يلبث أن وجد الصليبيون داخل عكا قلبا رحيما كبيرا، فوهب لهم عصمة الأنفس والأموال.

وهنا نلاحظ أنه إذا كان صلاح الدين قد استولى على معظم المدن والقلاع والمراكز الساحلية فى جنوب بلاد الشام، إلا أنه ترك من فيها من الصليبيين أحرارا كما ترك لهم حرية البقاء والخروج.

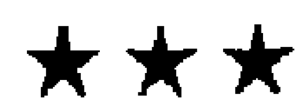
وعند استيلاء صلاح الدين على عسقلان فى أوائل سبتمبر ١١٨٧ اقتيد أهلها من الصليبيين إلى الدلتا، حيث قضوا فصل الشتاء فى الإسكندرية متمتعين بحماية صلاح الدين ورعايته حتى رحلوا إلى غرب أوروبا فى مارس من العام التالى، وفى الوقت نفسه وافق صلاح الدين على إرسال رسالة للأميرة سيبل زوجة جاى فى بيت المقدس لدعوتها للحضور إلى نابلس لتقيم إلى جانب زوجها الأسير جاى لوزنجان .. وتصرف صلاح الدين مع من بداخل المدينة (بيت المقدس) تصرف كريم، فسمح بخروج الملكة ماريا كومنين أرملة عمورى الأول وزوجة باليان، وسمح بحراستها من بيت المقدس حتى طرابلس، كما سمح لغيرها من النساء والأطفال بالخروج من المدينة آمنين.

وفى يوم الجمعة ١٢ أكتوبر ١١٨٧ دخل صلاح الدين بيت المقدس، وكان الملك العادل فى صحبته، فأظهر تسامحا كبيرا تجاه فقراء الصليبيين الذين عجزوا عن دفع الفدية، وقد نادى بعض المسلمين بمعاملة الصليبيين بما عاملوا به المسلمين عندما استولوا على بيت المقدس سنة ١٠٩٩ لكن صلاح الدين نهرهم عن ذلك، وأمر باحترام الأماكن المقدسة المسيحية فى بيت المقدس، والتزام روح التسامح تجاه المسيحيين .

أمـا اليتـامى والشيـوخ من الصليـبيين فـإن صـلاح الدين لـم يكتف بإطلاق سراحـهم دون فـداء، بل منحـهـم أيضـا مسـاعدات مـالية من ماله الخاص.

وهكذا بدا الفـرق عظيمًـا بين سلوك صلاح الدين عنـدما استـولى على بيت المقـدس سنة ١١٨٧، وبين ما فـعله الصليبـيون بالمدينة وأهـلها عندما سقطت فى أيديهم سنة ١٠٩٩ (١).

وهكذا يتـبين لنا أنه مـا نعمت الـبشـرية بسـلام إلا فى ظل شريعـة الإسلام، والدليل على هذا الكلام سيـرة خير الأنام ﷺ وتاريخ الخلفاء من بعده رضوان الله عليهم أجمعين.



(١) انظر الحركـة الصليبية للدكـتور سعيـد عبد الفتـاح عاشور الجزء الثـانى ص٧٨٠-٧٩٣، والإسلام وقضايا الحوار للدكتور حمدى زقزوق ص ٢٠٧.

موقف الإسلام من أصحاب الديانات الأخرى

أما صفحة أوروبا وسجلها مع الآخر - المسيحى المخالف فى المذهب أو المسلم المخالف فى الدين - فليس فيه غير السيف والدم منذ لاحق الأرثوذكس الملكانيون اليعاقبة من أقباط مصر والشرق بالقتل والتشريد فى القرن السادس الميلادي، وحتى حملة إبادة مسلمى البوسنة فى أواخر القرن العشرين ، لكن الأمر جد مختلف عند المسلمين بشهادة الأمير شكيب أرسلان فى مقالة فى عشرينيات القرن الحالى بعنوان «التعصب الأوروبى أم التعصب الإسلامى»[(١)].

وقد كان موقف الإسلام الأصيل المُقِر للديانتين السابقتين عليه عنصرا أساسيًا فى الحفاظ على كيانات المسيحيين واليهود واستمرارها داخل المجتمع الإسلامى، مما دفع الآخر - الخارجى - إلى محاولة استثمار ذلك الموقف لصالحه بصفة دائمة ، فنجح حينا وفشل فى حين آخر مما كان سببا إضافيا لإحداث التوتر بين الطرف الإسلامى والطرف غير الإسلامى فى الدولة الواحدة.

لقد كفل الإسلام للآخرين حقهم فى عدم الاقتناع به، بعدما قرر لهم حرية الاختيار ، وأعلن البيان الإلهى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[(٢)] ، وهذا هو التعايش السلمى والسلام الاجتماعى .

وموقف الإسلام من أصحاب الديانات الأخرى الذى يقوم على الاعتراف بهذه الديانات واعتبار المنتمين إليها «أهل الكتاب» حقوقهم معلقة فى أعناق المسلمين باعتبارهم فى ذمة الله ورسوله[(٣)].

---

(١) الإسلام والديمقراطية للأستاذ فهمى هويدى بتصرف من ص ١٣-١٦ .

(٢) سورة الكهف الآية (٢٩). (٣) الإسلام والديمقراطية ص ٢٦ .

وفى هذا المعنى يقول المفكر الإسلامى الكبير الدكتور محمد سليم العوا:

إن مبدأ المساواة الذى تقرره الشريعة الإسلامية للناس كافة ليس خاضعا لأى استثناء ؛ ذلك لأن أساس هذا المبدأ أو علته هى وحدة الأصل الإنسانى لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾[1] ، وطبقًا للحديث النبوى : «كلكم لآدم وآدم من تراب»، أما التقوى التى تشير النصوص إلى تفاضل الناس بها، فلا تأثير لها على تطبيق مبدأ المساواة فى حياة الناس؛ ذلك أن محل التفاضل بالتقوى فى الآخرة لا فى الدنيا ، أمام الله لا بين الناس[2].



(١) سورة الحجرات الآية (١٣).

(٢) انظر النظام السياسى للدولة الإسلامية للدكتور سليم العوا ؛ ص٢٤٣، الإسلام والديمقراطية للأستاذ فهمى هويدى ص ٢٦.

فضل الإسلام على الحضارة الغربية

بالنسبة لفضل الإسلام والحضارة الإسلامية على الغرب والحضارة الأوروبية يعترف به المنصفون من المستشرقين والمثقفين الغربيين، وهناك دراسات كثيرة حول هذا الموضوع ودور العرب فى تقدم الغرب وأخذهم بأساليب التقدم من العلوم العربية والإسلامية، ودور العلماء العرب والمسلمين مثل الخوارزمى وابن حيان وغيرهما فى إثراء الحياة الثقافية والعلمية فى الغرب ونهضة أوروبا.

وفى حوار لسفير اليابان فى القاهرة كاورو إيشيكاوا مؤخرا أكد أن المهم فى هذا العالم الذى شملته العولمة أن يتم تقبل الآخرين وحضارتهم بسعة صدر، وكذلك التخلى عن الأفكار الثابتة المبنية على أساس من الجهل كما يعنى فهم ثقافة الآخرين وحضارتهم ومن ثم احترامها .

وأضاف سفير اليابان أن اليابان والعرب يملكون تقاليد قديمة وثقافة وحضارة عريقة، بل كانتا على قمة العالم فى ذلك الوقت فى العلوم وغيرها، وأن الحضارة التى نقلت عن الإسلام تحققت بها النهضة الأوروبية ثم قامت ما تسمى الثورة الصناعية، وغمرت اليابان والعالم العربى موجات الحداثة الغربية منذ القرن التاسع عشر، وبذلك اشتركت اليابان والعالم العربى فى هذه الخبرة التاريخية.

وأشار إلى أنه لا يوجد - تقريبا - بين الأوروبيين والأمريكيين من يعرف أن العلوم والثقافة الإسلامية كانت هى المصدر بالنسبة للنهضة الأوروبية وأن الرياضيات والهندسة والأدب والفلسفة اليابانية فى عصر إيدو كانت على مستوى عالمى رفيع، كما أن كلا من اليابان والعالم العربى شكلا مجتمعا يتسم بقبول الآخر ويعترف بوجود من يختلف عنه.

وأوضح أنه بدراسة تاريخ مصر جيدا نجد أنها نموذج للدول التى وجد فيها على مدى زمن طويل قبول الآخر بصدر رحب لا يلقى أهمية لفروق ناتجة عن دين مختلف أو اتباع دين مختلف [1].



(١) الأهرام بتاريخ ١/ ١٢/ ٢٠٠٧ فى حوار مع الزميل الأستاذ محمد عثمان .

اندماج المسلمين فى أوروبا

حول ضرورة اندماج المسلمين فى المجتمعات الأوروبية أكد الدكتور على جمعة مفتى الجمهورية أهمية حفاظ المسلمين الذين يعيشون فى المجتمعات الأوروبية على هويتهم الثقافية والدينية مشيرا إلى أن الاندماج فى هذه المجتمعات لا يعنى الذوبان.

وقال إن اندماج المسلمين فى المجتمعات الأوروبية يشمل المشاركة المجتمعية والسياسية بصورة إيجابية خاصة أن العالم الآن أصبح قرية صغيرة بفضل التطور الهائل فى الاتصالات التكنولوجية الحديثة، مضيفًا أن العالم أصبح فى حالة حوار ولا يمكن فصل مصالح البلاد عن بعضها البعض حاليا.

جاء ذلك خلال أعمال اليوم الأول لمؤتمر المسلمين وقضايا المواطنة فى أوروبا الذى عقد بمركز الدراسات الأوروبية التابع لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة بالتعاون مع مؤسسة أناليند للحوار بين الثقافات والحضارات والمؤسسة الألمانية كونراد اديناور.

وأشار الدكتور على جمعة إلى ضرورة تغيير الصورة النمطية التى تسىء إلى المسلمين فى المناهج الدراسية الأوروبية؛ خاصة أن هذه الصور السيئة ضد الأسس والمواثيق الدولية التى تنادى بوقف التمييز ضد الآخر.

وأضاف مفتى الجمهورية أن دراسة قضايا المسلمين فى أوروبا أمر مهم ويجب الاعتناء بها داعيا إلى فتح قنوات اتصال بين المسلمين والعالم على أن تكون مبنية على قطبين أساسيين هما حب الله وحب الجار[1].



(١) الأهرام المسائى ٢٥/٨/٢٠٠٧.

التسامح في الإسلام

تحت هذا العنوان تحدث الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري في كلمته في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف للعام الهجري ١٤٢٨ مؤكدا أن سيرة الرسول ﷺ غنية بالدروس والعبر وحافلة بالمواقف الرائعة التي ستظل نبراسا مضيئًا للأجيال على مدى الأزمان، وحسبنا في هذا المقام أن نشير إلى إحدى السمات البارزة في شخصية هذا النبي العظيم والتي تتمثل في خلق التسامح والعفو عند المقدرة ، ولقد كان من أعظم المواقف التي رأينا فيها تجسيد هذا الخُلق على أرض الواقع موقفه ﷺ مع أهل مكة عندما دخلها فاتحًا منتصراً ولو كان قد جمع أعداءه الذين أذاقوه وأصحابه كل صنوف العذاب وأمر بعقابهم جزاءً وفاقا على ما اقترفوه في حقه ﷺ وحق أصحابه ﷺ من قتل وتعذيب وإهانات على مدى ثلاثة عشر عاما في مكة، لكان ذلك عدلا وإنصافا ، ولكنه عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله رحمة للعالمين لم يكن ليفعل ذلك ؛ فالرحمة عنده فوق العدل، وبدلا من الانتقام والقصاص عفا عنهم جميعًا قائلاً لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء ولم يكونوا قد أعلنوا إسلامهم بعد ، وبهذا الخُلق يتحول العدو إلى صديق .

وأضاف الدكتور زقزوق أنه على هدى النبى الكريم ﷺ في التسامح كان تعامل القائد العظيم صلاح الدين مع خصومه من الصليبيين بعد أن انتصر عليهم فلم تدفعه شهوة الانتقام إلى القتل والتدمير فى صفوف أعدائه جزاء ما اقترفوه من مذابح سجلها التاريخ وإنما أرسل طبيبه الخاص ليعالج عدوه اللدود ، وسمح للصليبيين بالعودة إلى بلادهم وأمد فقراءهم بالمئونة التى تساعدهم على الرجوع إلى أوطانهم ، ومن ذلك يتضح لنا أن التسامح فى الإسلام لم يكن مجرد

قيمة نظـرية أو شعار لا مضمون له وإنما كـان وسيظل واقعًا معيشـا له رسوخه في العقول ومكانته في القلوب وجذوره في التاريخ، وغنى عن البيان أن عالمنا المعاصر في أشد الحـاجة إلى التسامح لمواجـهة طوفان الـتعصب والكراهيـة الذي يريد أن يغرق العالـم في دوامته المدمرة .

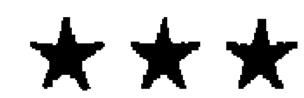
ولعل التـعرف على نموذج الـتسـامح في الإسلام وتطبيـقه عـمليا في دنيـا المسلمين وإبرازه للآخرين يكون دافـعا لهم إلى إعادة النظر في الكثيـر من المفاهيم الخاطئـة والأفكار المغلوطة عن الإسلام والمسلمين ويسهم بشكل إيجـابي في مزيد من التـقارب والتفـاهم والتعـاون بين الأمم والشعـوب من أجل سلام هذا الـعالم الذي هو عالمنا جميعًا .

إن المتأمل في أبعاد خلق التسامح في الإسلام يجد أنها تمتد إلى آفـاق بعيدة فالـتسـامح مـع أهـل الأديان والمعتـقدات الأخـرى يعد ركـيزة أسـاسيـة في خُلق التسامح في الإسلام ويؤكد ذلك رُسل الله وبالتالي بين أتباع هؤلاء الرسل كما في قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[1] كما أن المسلمين من مـنطلق التسامح الإسلامـي مأمـورون بالتعـامل مع أهل الأديان الأخرى بالعـدل والمعروف مـا دام هؤلاء لم يصدر منـهم أى تصرف معـادٍ للإسلام والمسلمين يقـول القرآن الكريم: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[2] والتـسامح يـعني احتـرام التعددية الدينية والثقافية ويعني قبول الآخر والحوار معه بصرف النظر عن انتماءاته العقدية أو العرقية ويعني أيضا احترام الرأي الآخر مهما يكن مخالفا لرأينا ؛ فليس

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

(٢) سورة الممتحنة الآية ٨ .

من حق أي مخلوق أن يدَّعي لنفسه أنه وحده الذي يملك الحق المطلق وأن غيره يقف في الطرف المقابل الذي يتساوى مع الباطل ، والتسامح الإسلامي ليس تسامحًا حياديًا ولا تسامحًا باردا وإنما هو تسامح إيجابي يحث على التعاون مع الآخرين بلا حدود وما دام في ذلك خير للجميع ، وليس من التسامح في شيء الرضا بالظلم والوقوف حياله موقفا سلبيا ، فدفع الظلم عن المظلومين وردع الظالمين مبدأ أخلاقي وإسلامي ولا يجوز التفريط فيه أو الخلط بينه وبين التسامح ، فالإسلام دائمًا ينتصر لحرية الإنسان وكرامته وحقوقه الإنسانية العامة بصرف النظر عن انتماءاته الدينية أو العرقية أو الثقافية وذلك كله يعبر تعبيرا لا يقبل التأويل عن التسامح الإسلامي الذي سيظل عنوانا على هذا الدين إلى آخر الزمان[1].

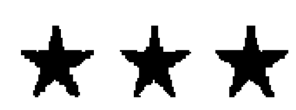


(١) الأهرام المصرية في ٣/ ٤/ ٢٠٠٧ ، ص٥.

احتــرام الإسلام هــوية الآخــرين

إن التعامل مع الآخر من الأمور التي سعى إليها الإسلام، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي لم يطمس هوية الآخرين ، بل اعـترف لهم بحق العبادة وحق ممارسة شعائرهم بكل حرية ولم يعمل الإسلام على أن يعبر عن توجهات وهوية أصحاب الديانات الأخرى ، ولم يحـاول إذابة هوياتهم أو طمس معالمهم ، بل اعـترف لهم بكل ما أخرجوه من إبداع علمي وثقافي.

إن الإسلام عـمل على المحافظة علـى كل ما تحافظ علـيه الفطرة الإنسـانية ، وهكذا تعامل الإسلام مع الهويات الأخرى بل وحث على الحوار معها ، ومن هذا المنطلق فإن الآخـر إذا كان يريد أن يعرف شيـئا عن الإسلام فيـجب أن يعرف هذا الشيء من المسلمين أنفـسهم ، والأمر نفـسه بالنسـبة لنا كمـسلمين إذا كنا نريد أن نعرف شيئًا عن الآخر علينا أن نسأل ذلك الآخر نفسه وكلها أمور يجب أن يعلمها الجمـيع حتى لا يفسـد الحوار وحتى نسـتطيع بناء قاعـدة تستطيع إقامـة حوار بناء وجاد .. حوار يصلح النفس[١].

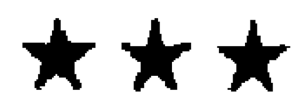


★★★

(١) مقال لفـضيلة العالم الجليل الراحل فضيـلة الأستاذ الدكتور / محـمد سيد أحمـد المسير أستاذ الفلسفة بجـامعة الأزهر - رحمه الله - جريدة الأهرام - الطبعة العـربية - صفحة الفكر الديني ٤/ ٥/ ٢٠٠٧.

نسق فكرى وحضارى

إن الإسلام الذى أنزله الله على عباده ليختم به رسالات السماء، هو فى حقيقته نظام حياة، ونسق فكرى وحضارى متكامل يشمل الواقع كله، وليس مجرد خطاب لترطيب الجوانح وتطييب النفوس ، ولأنه استغرق حياة الأمة منذ نزل قبل أربعة عشر قرنا فقد أصبح يمثل هويتها وروحها التى لا تنفك عنها ما دامت فيها حياة، ومن ثم فإنه تجاوز عمليا حدود العقيدة ومجرد العلاقة بين الإنسان وخالقه ، وتحول إلى معطى ثقافي واجتماعى وتاريخى وإلى رمز للاستقلال الحضارى[1].



(١) الإسلام والديمقراطية للأستاذ فهمى هويدى ص٨.


الفصل
الثالث

المواطنة

تعريفها:

المقصود بالمواطنة أن يحظى كل فرد فى المجتمع بالاحترام من الدولة، ومن المواطنين الذين يختلف عنهم فى الديانة أو الرأى دون تفرقة أو تمييز.

وفى إطار حرص الرئيس على المتابعة الدقيقة لبرامج ومشروعات الحكومة تنفيذا لبرنامجه الانتخابى من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية ومراعاة محدودى الدخل وخدمة المواطنين وزيادة الإنتاج يقوم الرئيس بجولات ميدانية لافتتاح مشروعات سياحية وخدمية ومصانع جديدة وذلك كله فى إطار البرنامج الانتخابى الرئاسى الذى يستهدف الارتقاء بالخدمات ورفع مستوى المعيشة لجميع المواطنين دون تفرقه باعتباره رئيسا لكل المصريين ، ويتابع نتائج ذلك فى اجتماعات موسعة مع الحكومة للتأكد من تحقيق العدالة الاجتماعية للشعب التى يوليها الرئيس أولوية خاصة فى كل لقاءاته برئيس الوزراء أو مجلس الوزراء مشددا على توسيع شبكة الضمان الاجتماعى وتطوير الرعاية الصحية وتوصيل الدعم إلى مستحقيه وانحيازه إلى محدودى الدخل كل ذلك فى إطار توجيهه بتحقيق العدالة فى توزيع الاستثمارات والخدمات وفرص العمل وتحقيق معدلات نمو مرتفعة .

وفى تعليقه على خطاب الرئيس مبارك أمام الجلسة المشتركة لمجلسى الشعب والشورى فى نوفمبر عام ٢٠٠٧ يقول الأستاذ أسامة سرايا رئيس تحرير جريدة الأهرام فى عموده بالأهرام محللا خطاب الرئيس :

لقد وقف بنا الرئيس على أعتاب مرحلة جديدة نجنى فيها ثمار ما قدمنا ، ونعمل على تعظيم قدراتنا ، وحان الوقت - كما قال - لأن نتدبر عدالة توزيع ثمار النمو والتنمية بين أبناء الوطن فى كل ربوعه ، عدالة ترتكز على المواطنة وحق المواطن فى أن يصل إلى أقصى ما تسمح به قدراته ومواهبه بعيدا عن أى تفرقه أو تمييز .

ووضع الرئيس قضيتى العدالة الاجتماعية والمواطنة فى مقدمة أجندة العمل الوطنى فى المرحلة المقبلة خاصة أن الاقتصاد المصرى بما حققه من نتائج إيجابية قادر على الوفاء بمقتضيات العدالة الاجتماعية وما تطرحه من تحديات .

وقد طالب الرئيس بحوار مجتمعى حول الدعم الذى أثقل كاهل الاقتصاد المصرى ولم يحقق العدالة الاجتماعية ، وشدد على المشاركة الشعبية فى كل قضايا الوطن والتوافق حول لغة تبنى بالحوار مستقبل مصر ، وتعلو فوق دعاوى التشكيك والإحباط وتستلهم الأمل والثقة مما حققناه وتستمد العزم والتصميم مما نتطلع إليه [1] .

وفى ورقة «المواطنة والديمقراطية» ، التى تعتبر ورقة عمل خاصة بمجال المواطنة والديمقراطية التى ناقشها المؤتمر التاسع للحزب الوطنى عام ٢٠٠٧ طرحت رؤية الحزب فى هذا المجال ، والتى تتركز فى دعم الأسس الدستورية للنظام السياسى المصرى ، ودعم التعددية الحزبية وتقوية دور الأحزاب ، وتعزيز حكم القانون ودعم العدالة الناجزة ، وتعزيز الحريات العامة ، ودعم دور المجتمع المدنى ، وتمكين المرأة ودعم اللامركزية والديمقراطية المحلية .

وتبرز الورقة أيضا إيمان الحزب وحكومته بأن دعم حقوق المواطنة وتعزيز مسيرة الديمقراطية هما أحد الأركان الأساسية لعملية التنمية ، وأنه لا يمكن فصل

(١) جريدة الأهرام بتاريخ ١٨/ ١١/ ٢٠٠٧ - الصفحة الأولى.

جهود الإصلاح السياسى عن الإصلاح الاقتصادى والإجتماعى فى إطار الرؤية الشاملة لعملية الإصلاح وقد بلور الحزب رؤية متكاملة لتعزيز حقوق المواطنة والديمقراطية فى عدة أوراق منها ورقة النقاش التى صدرت فى المؤتمر السنوى الأول للحزب فى سبتمبر ٢٠٠٣ .

وأشارت الورقة إلى أن البرنامج الانتخابى للرئيس مبارك تضمن محور «مواطن حر فى بلد ديمقراطى» وذلك من خلال رؤية للإصلاح الدستورى والسياسى استهدفت تحقيق مزيد من التوازن بين السلطات وتعزيز حقوق المواطن والحريات العامة ، ودعم الحياة الحزبية ، وتمكين المرأة وتطوير المحليات ، ورؤية لتعزيز حرية الرأى والتعبير وتعزيز حرية الصحافة ووسائل الإعلام وحق المواطن فى المعرفة .

وأكدت الورقة أن المؤتمر العام التاسع للحزب يمثل مرحلة جديدة لتعزيز حقوق المواطنة والديمقراطية وتأكيد رؤية الحزب فى هذا الصدد والبناء على ما تحقق من التعديلات الدستورية وما طرحه من أفكار وسياسات خلال السنوات الماضية ، وتتمثل أهم ملامح الرؤية والأهداف التى يتبناها الحزب لدعم الديمقراطية وحقوق المواطنة منها :

دولة مدنية على أساس المواطنة ، وأن الحزب وحكومته يؤمن بالحفاظ على الطابع المدنى للدولة الذى يقوم على المساواة بين المواطنين فى الحقوق والواجبات بغض النظر عن الدين أو الجنس أو الأصل، وعلى الشرعية الدستورية كأساس للحكم ، وعلى نظام سياسى يقوم على مؤسسات مدنية متعارف عليها من حكومة وبرلمان وسلطة قضائية تستند فى شرعيتها لإرادة الأمة وحكم القانون ، وقد جاء تعديل المادة الأولى من الدستور ليؤكد أن جمهورية مصر العربية دولة نظامها ديمقراطى يقوم على أساس المواطنة .

ومن جانبه أكد السيد جمال مبارك الأمين المساعد أمين السياسات بالحزب الوطني ضرورة الاهتمام بما يمس مصالح المواطن البسيط ، ومراعاة البعد الاجتماعى والتنمية الاجتماعية بما يحقق مصلحة المواطن والوطن ، وأن إرساء مبدأ مدنية الدولة لا يتعارض ، بأى شكل من الأشكال مع احترام الدستور والدولة لمكانة الدين ، ولا يعنى انتقاصا من دوره أو مبادئه السامية فى المجتمع ، فالدستور ينص على أن الإسلام دين الدولة وأن مبادىء الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع ، والدولة تكفل حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية (١) .

المواطنة تعنى مركز المواطنين فى الدولة والمجتمع، من حيث تماثل حقوقهم وواجباتهم وإن كانوا من أديان مختلفة.

ولله الحمد لم تشهد مصر أى تفرقة بين قطبى ومسلم فى شغل المناصب منذ قديم الأزل ، فقد أتيح لمن شغل من القبط المناصب المالية الكبيرة وشارك فى الإدارة ما أتيح للمسلمين من كبار موظفى الدولة من تكوين الملكيات الزراعية الكبيرة ، وشاركوا فى التجارة والزراعة وكونوا ثروات هائلة ، واشتهرت أسر كثيرة منهم ، وهذا كله يظهر التعامل السمح للنظم الإسلامية مع الأقباط ، وكان منهم الوزراء والرؤساء فى الإدارة المصرية، ويظهر تعامل المسلمين الرحب والسمح بالمسيحيين فى مصر ، مما يدل على علاقة أقباط مصر بمسلميها وأن امتزاجا كاملا حدث بين العنصرين المسلمين والأقباط ، وهذا منذ قديم الزمان وينعم به الوطن بحمد الله حتى الآن، ولا يوجد فرق بين مسلم ومسيحى فى مصر سوى أن الأول قبطى مسلم والثانى قبطى مسيحى والخلاف الوحيد بين القبطى والمسلم هو أن الأول مصرى يتعبد فى كنيسة مسيحية، والآخر مصرى يتعبد فى مسجد محمدى(٢).

(١) جريدة الأهرام بتاريخ ١٣/ ١١/ ٢٠٠٧ .

(٢) انظر المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية للمستشار طارق البشرى من ص ٤٠ إلى ٤١.

وفى المعجم: القِبطُ جيل من أهل مصر الأصليين ، واحدهم (أى المفرد) قبطى ، والجمع أقباط.

وقد ذكر جورج يونج فى كتابه «مصر» عند حديثه عن الأقباط والمسلمين أنه لا يوجد فى مصر تفرقة طائفية ضد الأقباط، وأن العلاقة بين العنصرين تظهر أوثق ما تكون فى المناسبات الدينية[1].

وفى هذا الإطار يتحدث رفاعة الطهطاوى - رحمه الله - فى كتابه مناهج الألباب المصرية فى مناهج الآداب العصرية قائلا:

هناك الأخوة العامة والأخوة الخاصة، والأولى هى أخوة العبودية لله؛ وهى تعنى التساوى فى الإنسانية وفى حقوق أهل المملكة - أى الشعب - والثانية هى الأخوة الإسلامية، أى اكتساب ما يصير المسلمون به إخوانا على الإطلاق من أداء حقوق بعضهم على بعض كرد السلام وابتدائه وتعلم الأحكام الشرعية، ثم يشير إلى أن موجبات الأخوة الخاصة لا يوجد ما يمنع من تعميمها ؛ فجميع ما يجب على المؤمن لأخيه المؤمن منها يجب على أعضاء الوطن بعضهم على بعض لما بينهم من الأخوة الوطنية فضلا عن الأخوة الدينية ، ومن ثم يجب أدبا - لمن يجمعهم وطن واحد أن يتعاونوا على تحسينه وتكميل نظامه وانتظام المعاملات وتحصيل المنافع ، وهى تكون بين أهل الوطن على السوية لانتفاعهم جميعًا بمزية النخوة الوطنية ، ويستند إلى قول الإمام ابن حجر العسقلانى - رحمه الله - من أن الظلم حرام حتى للذمى ، مؤيداً به أخوة الوطن وما تكفله من حقوق ، كما يستند فيها إلى حقوق الجوار باعتبار أهل الملة الواحدة كلهم جيران ، ونهى الرسول ﷺ عن خذلانه وغشه أو خيانته[2] .

---

(١) السابق ص ٤٢ .

(٢) السابق ص ٤٥ .

وحول هذا الموضوع يذكر الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله - أن الإسلام يعترف بالأديان السابقة عليه جميعًا وخاصة يهودية موسى ومسيحية عيسى، على عكس من سبقه ، ومن ثم فإن الانكماش والتعصب ليسا من طبيعته ، وأن الآيات التى وردت بالقرآن الكريم وتمنع اتخاذ المؤمنين لليهود والنصارى أو الكافرين أولياء إنما وردت جميعها فى المعتدين على الإسلام والمحاربين لأهله[1].

ويعلق الشيخ الغزالى على اعتبار أهل الذمة جزء من الرعية الإسلامية - مع احتفاظهم بعقيدتهم :

الواقع أن الإسلام ينظر إلى من عاهدهم من اليهود والنصارى على أنهم قد أصبحوا من الناحية السياسية أو الجنسية مسلمين، فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات ، وإن بقوا من الناحية الشخصية على عقائدهم وعباداتهم وأحوالهم الخاصة ، ومن ثم فهو يقيم نظمه الاجتماعية على أساس الاختلاط والمشاركة، ولا يرى حرجا من أن يشتغل مسلم عند أهل الكتاب أو يشتغل أهل الكتاب عند مسلم، واستعمال اليهود والنصارى فى الوظائف الكبيرة والصغيرة أمر شائع فى بلاد الإسلام إلى هذا العصر.

ويضيف: أى غضاضة يا قوم فى أن تكون الوحدة الوطنية بين متدينين لا ملحدين، مشيرا إلى اشتراك المسيحيين مع المسلمين فى قتال اليهود المعتدين، وقد أجمع فقهاء الإسلام على أن قاعدة المعاملة بين المسلمين ومسالميهم من اليهود والنصارى تقوم على مبدأ «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» وإذا كان هذا المبدأ قد طُبق أحسن فى أقطار الإسلام، فهو فى مصر قد طُبق على نحو ممتاز بالنسبة للأقباط [2].



(١) السابق ص ٧٠٥ .

(٢) السابق ص ٧٠٦ .

الوحـدة الوطنية

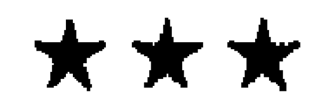
الوحدة الوطنية قضية أساسية وتتطلب من كل المجتمع الإنسانى أن يكون وحدة واحدة.

والوحدة الوطنيـة قائمة ومـوجودة فى التراث الموجـود فى التاريخ، وتاريخنا عـبـر سـنوات طويلة جـدا ارتبط بوحـدتنـا الوطنيـة، والوحـدة الوطنية فى مصـر ليست مجرد خطب واجتـماعات رغم أهميتـها، لكنها موجودة فى طبيعة تكوينات المجتمع المصرى.

والوحدة الوطنـية مهـمة لأنها تـعطى توعية، تصنـع رنينا أو صدى مقابل الأصوات العـالية التى تُسمع .. وتوضح للمجتمع المصرى حـقيقة أن التطرف غير حـقيقى وأنه غير قـائم، تساعد المجتـمع المصرى أن يلتقى مع بعضه البعض وأن يتعاون .

فالوحـدة الوطنية حقيـقة من الحقائق الأسـاسية لنمو البنيـة المصرية وتقدم الإنتاج المصرى (١).

والوحدة الوطـنية هى الحصن المنيع، والدرع الواقيـة لصد أى فتن، ومنع حدوث أى مشكلات، وهى طوق النجاة للمجتمع.



(١) انظر الإسلام والمسيحية فى مواجهة الإرهاب والتطرف للأستاذ أنور محـمد بتصرف من ص١٣١ إلى ١٣٣.

نسيج واحـــد

بمحبة وسلام ورحمة وتكافؤ واحترام متبادل يتمتع الشعب المصرى بمسلميه ومسيحييه، نسيج واحد أبناء وطن واحد، مصريون متساوون فى الحقوق والواجبات لا فرق بين أى منهم فى جو من التوائم والوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى.

والمجتمع الذى يتمتع بالحرية والديمقراطية لا يعانى فتنة طائفية وإنما يتمتع بالوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى والأمان النفسى وعدم التعصب ونبذ التطرف، وهذا ما يتمتع به المجتمع المصرى بفضل الله، والسياسة الحكيمة للرئيس مبارك وازدهار الديمقراطية فى عهده.

إن أمن المجتمع ليس مسئولية الأجهزة الأمنية فقط - رغم أهميتها وفاعليتها - وإنما مسئولية المجتمع كله لمواجهة التطرف الدينى بشرح صحيح الدين، والتصدى للإرهاب وخطره على المجتمع، وبهذا الحس المجتمعى يتحقق السلام الاجتماعى والأمان النفسى والتعايش السلمى بين الناس على اختلاف دياناتهم، وأن النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى السليم لا تزعزعه الأعاصير.

المسيحيون فى مصر ليسوا أقلية - كما يدَّعى البعض أو كما يدَّعى بعض أقباط المهجر ممن يريدون إشعال الفتنة - ولكنهم أصحاب بلد ينتمون إليه مثلهم مثل إخوانهم من المسلمين، هم جميعًا شركاء فى

المواطنة، شركاء فى الحياة يتمتعون بكل الحقوق السياسية، ومشاركون فى صنع التاريخ الوطنى دون إحساس بأى غضاضة ولهم مواقفهم التى لا تنسى فى الدفاع عن قضايا الوطن على مر العصور والأيام منذ قديم الزمان وحتى الآن.



شعب مسالم

لقد امتاز شعب مصر منذ آلاف السنين بميزات عديدة ، من أهمها أنه شعب مسالم يميل إلى السلام والأمن والاستقرار ، ويلمس ذلك كل من يزور مصر ويختلط بشعبها .

وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الميزة على لسان سيدنا يوسف عليه السلام حينما استقبل أبويه على مشارف مصر قائلا :

﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (١)

وفى ظل هذا الأمن والأمان والاستقرار استطاع شعب مصر أن يبنى حضارة قبل أن يعرف العالم الحضارة ومعناها ، وقد امتاز هذا الشعب الذى بنى هذه الحضارة بميزة أخرى هى أنه منذ آلاف السنين شعب متدين ، وما تركه لنا المصريون القدماء يدل على عمق الدين فى نفوسهم ، فكل ما تركوه لنا من آثار يمثل رمزا للدين بطريق مباشر أو غير مباشر .

وقد استقبل شعب مصر منذ آلاف السنين أنبياء الله ، فقد تزوج سيدنا إبراهيم عليه السلام السيدة هاجر المصرية وأنجبت له سيدنا إسماعيل عليه السلام جد العرب، واستقبلت مصر سيدنا يوسف عليه السلام الذى تولى منصب وزير الخزانة أو وزير التموين بالمعنى المعاصر، وتربى موسى عليه السلام فى أرض مصر، ثم لجأ سيدنا عيسى مع أمه مريم عليهما السلام إلى مصر ، وتزوج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية ؛ فالمصريون لهم صلات قديمة بالأنبياء ، وهم أول الشعوب التى عرفت عقيدة التوحيد .

(١) سورة يوسف الآية (٩٩).

وعندما جاء الإسلام إلى مصر تلاقت طبيعة هذا الشعب المصرى الآمن المسالم المحب للدين مع طبيعة الدين الإسلامى ، دين السلام والأمن والمحبة ، ستقرار ، وامتزجت هاتان الطبيعتان فى أعماق شعب مصر حتى يومنا هذا [1]



(١) انظر هموم الأمة الإسلامية للدكتور حمدى زقزوق ص ٥١.

تواصل طوائف الشعب

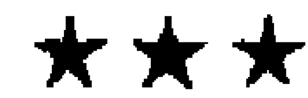
من أروع الأمثلة حول تواصل طوائف الشعب مسلمين وأقباطا مع بعضهم البعض ومع القيادات ما يلى :

فى احتفالها بعيد الميلاد المجيد :

شكر لمبارك من القيادات المسيحية لدعمه الديمقراطية وحقوق الإنسان

أعربت قيادات مسيحية رفيعة عن تمنياتها باستمرار السلام والتنمية فى ربوع مصر وانتهاء الصراعات فى منطقة الشرق الأوسط وذلك خلال احتفالات الطوائف المسيحية - التى تسير وفق التقويم الغربى - بعيد الميلاد المجيد «الكريسماس» وقال المطران الدكتور منير حنا أنيس مطران القدس والشرق الأوسط وشمال إفريقيا للطائفة الأسقفية - الإنجليكانية خلال رئاسته - صلاة العيد بكاتدرائية جميع القديسين بالزمالك أمس ونحن نحتفل بعيد الميلاد أوجه التحية والشكر لرئيس بلادنا الحبيبة حسنى مبارك ونسأل الله أن يؤيده بالقوة والحكمة وهو يقود بلادنا فى طريق التنمية والديمقراطية وتدعيم حقوق المواطن ويبذل مساعيه ليدفع عملية السلام فى منطقة الشرق الأوسط كلها . وقال الانبا انطونيوس القديسة العذراء مريم بمدينة نصر نتمنى أن يعيد الله الأعياد على شعب مصر ووحدته الوطنية قوية تحت القيادة الحكيمة للرئيس حسنى مبارك ، وأوضح أن ميلاد السيد المسيح ملىء بالعبر والدروس حول مضمون رسالته السامية للارتقاء بالبشرية ونشر قيم الحب والسلام والإخاء والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

وقد شارك فى احتفالات الطوائف المسيحية - التى تسير وفق التقويم الغربى - مندوبون عن السيد رئيس الجمهورية وممثلون عن رؤساء مجالس الوزراء والشعب والشورى والوزراء والأحزاب والنقابات وأعضاء مجلسى الشعب والشورى ورجال الأمن والإعلام . وقد أجريت أمس احتفالات مماثلة فى كنائس طوائف الروم والأرمن واللاتين والموارنة والسريان بالقاهرة والمحافظات [1] .



(١) الأهرام ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٧.

الألفة فى الآثار الإسلامية والقبطية

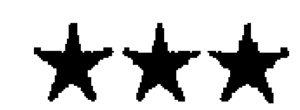
فى صفحة دنيا الثقافة بجريدة الأهرام الغراء ، تحت عنوان «**مصريون فى وطن واحد**» بمناسبة الاحتفال بعيد الميلاد المجيد ، كتب الأستاذ كارم يحيى الصحفى بالأهرام، حول واجهة المتحف القبطى وجامع الأقمر قائلا [(١)] :

فى القاعة رقم (١٩) بالمتحف القبطى، يتصدر المعروضات باب خشبى مطعم بحشوات من العظم (القطعة رقم ٨٦٩) يحار الزائر فى التخمين هل هو لكنيسة، أم لجامع أما واجهة المتحف التى تعود إلى أربعينيات القرن الماضى، فتحاكى واجهة الجامع الأقمر أحد أجمل المساجد الفاطمية (القرن الثانى عشر) .. وواجهة المتحف تترجم وعى صاحبها الفنان التشكيلى راغب عياد بالجذور المشتركة التى تجمع المصريين ، وما من مؤرخ لتاريخ العمارة والفنون على أرض وادى النيل إلا وأشار إلى أن الفنون القبطية والمسيحية الشرقية، كانت من الأسس والروافد المهمة التى قامت عليها العمارة الإسلامية ، كما فى المساجد وغيرها . وتتجلى حيوية التأثير والتأثر عطاء وأخذا فى ملاحظة الدكتور كمال الدين سامح بكتابه «العمارة الإسلامية فى مصر» عن التأثير البيزنطى الواضح فى تشييد قبة الجامع الأقمر نفسه، وحيث أشار إلى أن الفن القبطى كان بالأصل مدرسة من مدارس الفن البيزنطى.

---

(١) الأهرام بتاريخ ٦/ ١/ ٢٠٠٨ ص ٢٥.

هذه الألفة التى كانت قد جمعت آثارا ودور عبادة إسلامية وقبطية فى وطن واحد نبهنا إليها المثقف المصرى القبطى حنا جريس فأشار إلى دلالة استعارة الجامع الأقمر لواجهة المتحف القبطى قبل نحو سبعين عاما، وقال : الوعى بالجذور المشتركة للمصريين يعكس المناخ العام الذى يصوغ ثقافة الفنان والناس سواء كانت ثقافة وطنية عامة أو ثقافة فرعية لفئة . وأكد قائلا : واجهة المتحف القبطى تعنى ببساطة أن الأقباط كان لديهم وعى تاريخى بأنهم جزء من البناء العام للوطن.



التفاهم بين مسلمي ومسيحيّ مصر

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أهمية التوعية وتعريف الناس بحقوقها، وواجباتها وإشاعة روح التعاون والحوار البناء بين أتباع مختلف الأديان؛ لما فيه مصلحة البشرية كلها وذلك لتخفيف حدة الصراع التى يشهدها العالم حاليا فى العديد من الدول سواء كان صراعا سياسيا أو ثقافيا أو فكريا ، ولنشر الرخاء والأمن والاستقرار فى العالم والحد من الجرائم .

وقال : إن أى خلاف بين العقائد لا يمنع من التحاور والتعاون بين أتباعها ، لأن لكل إنسان عقيدته ، ولا إكراه على اعتناق الأديان ، مشيرا إلى التفاهم والتعاون بين المسلمين والمسيحيين فى مصر والذين تجمعهم أرض واحدة ووطن واحد، ويتساوون فى الحقوق والواجبات ، مشددا على أن الله وحده هو الذى يحاسب على العقائد وليس البشر .

وأشار إلى أن الصراع بين البشر قائم فى الدنيا منذ بدء الخليقة وأنه يختلف فى شكله ووحدته من دولة لأخرى ، غير أن انتشار العقلاء وأصحاب الفكر المستنير يسهم فى الحد من تلك الصراعات والعمل على مواجهتها والقضاء عليها (١) .

(١) الأهرام المسائى بتاريخ ٩/١/٢٠٠٨ خلال لقاء وفد من رجال الأعمال ومسئولى التعليم من تايلاند بشيخ الأزهر والتعرف على الأزهر كجامع وجامعة ودوره فى نشر الوسطية والاعتدال ونبذ العنف .

وحول هذا المعنى أكد الدكتور حمدى زقزوق وزير الأوقاف أن الأديان جميعها طريق إلى الله ودعوة لوحدانيته ، ولا يجوز أن تتصارع أو تتقاتل ، وأن ما يحدث من أتباع الديانات من نزاعات ما هو إلا سوء فهم لحقيقة الأديان وتعاليمها .

وحذر الدكتور زقزوق من التيارات التى تعمل فى الخفاء لإثارة الانقسام بين المسلمين والمسيحيين فى العالم كله وليس من مصلحتها استقرار المجتمعات الإنسانية ، مما يزيد المسئولية المشتركة لرجال الدين وقادة الفكر الإسلامى والمسيحى فى تفويت الفرصة عليهم فى إشعال الفتنة بين المسلمين والمسيحيين.

جاء ذلك خلال استقبال وزير الأوقاف لبطريرك الروم الكاثوليك الأنبا غريغريوس على رأس وفد كاثوليكى لتعميق العلاقات الودية بين المسلمين والمسيحيين .

وتم خلال اللقاء مناقشة بعض قضايا الحوار بين الأديان وضرورة التعاون لإزالة الأحكام المسبقة والمفاهيم المغلوطة على كلا الجانبين ، ونفى الدكتور زقزوق أن يكون الجهاد فى الإسلام معناه الحرب ضد الآخرين مؤكدا أن الجهاد شُرع فقط لرد العدوان على المسلمين ، وأن الإسلام لا يجيز العدوان على الآخرين طالما لم يعتدوا على المسلمين ، فالإسلام يحترم كل الشرائع السماوية ويعتبر الإيمان بالأديان السابقة جزءا من عقيدة المسلم مؤكدا أن المسلمين جميعًا خاصة فى مصر لا يحملون فى قلوبهم لإخوانهم المسيحيين إلا كل مودة ومحبة ، والتاريخ الإسلامى شاهد على عمق العلاقة بينهما . (١)

---

(١) الأهرام المسائى فى ٩/ ١ /٢٠٠٨ ، ص ٨ .

تواصل الأعياد

كما تلاحم فى مصر الهلال مع الصليب ... وتلاصق المسجد مع الكنيسة وتناغمت دقات الأجراس مع تجليات الأذان .. وأحب عبد الرحمن أخاه سمعان ..

ها هى فى مصر الأعياد تتابع لتتعاقب .. تتزامن وتتواكب .. فقبل أسبوعين كان عيد الأضحى المبارك .. وبعد يومين تحل ذكرى الهجرة النبوية الشريفة .. وبينهما .. نشهد - اليوم - واسطة العقد .. عيد الميلاد المجيد .

عيدك - سيدى المسيح - يحتضنه عيدان .. يحتفل به اليوم .. عن بكرة أبيه .. شعب مصر الكنانة .. الذى باركته - سيدى المسيح - بقولك «مبارك شعب مصر» ووصفه أخوك محمد عليكما السلام بأنه «فى رباط إلى يوم القيامة».. وكأنما جاء تتابع وتعانق الأعياد فى هذه الآونة بالذات .. ليذكر الناسين .. ويعلم الجاهلين .. ويقرع آذان الغافلين .. أن شعب مصر الكنانة الذى بهر الدنيا منذ فجر التاريخ بحضارته .. وأثار إعجاب العالمين بتماسكه وترابطه ووحدته .. هو شعب رسخت فيه فضائل الوفاء والصفاء والنقاء واعتنقت روحه قيم المودة والمحبة والإخاء .. مع قوة الإيمان بالله الواحد .. فاطر الأرض والسماء .. تلك الفضائل السامية .. والقيم الراقية .. التى قرعت أسماع الدنيا .. ساعة ميلادك المجيد -

سيدى المسيح – حين انطلقت الترنيـمة الملائكية .. «المجد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة» ولقـد كان السلام .. وهُو تاج كل القيم والفضائل .. وأمل كل البشـر .. المتأخرين منهم والأوائل ..كان هو – السـلام – رفيـقك وحليفك .. فى مسيـرتك العلوية المقـدسة .. ذات المجد الرفيع .. والشرف المبين .. منذ ولادتك .. حتى قيامتك .. وإلى يوم الدين ، ذلك القول الحق .. الذى سجله لك وعنك آخـر الكتب السماوية «والسـلام علىّ يوم وُلدت ويـوم أمـوت ويوم أُبعث حـيـا» والسـلام هو إكسيـر الحـيـاة .. وطوق النجاة .. وهـو حب الله .. وحب الوطن ..هو حب الخير .. وكراهية الشر .. جلب النفع .. ودفع الضر. ولأن مصر الكنانة .. هى أرض المحبة والمودة والإيمان .. وواحة الأمن والسكينة والاطمئنان .. اختارتها .. ووفدت إليـها العائلة المقـدسة .. دون سائر الأمـصار والبلدان .. وآنذاك – سيـدى المسيح – سعـد بمقدمك شعب مـصر وأحبك مـنذ كنت فى المهد صبيا .. وأنت من بعد قد أحببته .. ثم دعوت له حين بشرته ... بقولك :

«مبارك شعب مصر» وتفتحت لدعائك وبشارتك أبواب السماء .. ليتـعاظم فى مـصر الأمن والأمـان .. وتحل البركـة ويزيد النمـاء .. وقبل انقضاء ستة قرون على مولدك – سيدى المسيح – كان مولد أخيك محمد .. عليكما السـلام .. جاء ليتـمم ما بدأت من مكارم الأخـلاق .. ويشيع كمـا فعلت بين الناس المحـبة والسـلام .. وينكر أهل الشقـاق والنفاق .. وبهذه القـيم النبيلة التزم شـعب مصر على مـر العصور والأزمـان ..يقدم للدنيا قاطبـة المثل الأعلى فى الأخوة الإنسانية .. فى التـراحم والتسامح . فى احترام حقوق الإنسان .

هذه هى – سيدى المسيح – المحروسة .. مصر الكنانة بمحبتك .. ومحبة أخيك محمد أسبغ .. عليها الله .. حفظه وبركته وأمانه .. وهى بنسيجها الوطنى المتين بترابط وتكامل وتضامن شعبها الوفى الأمين .. ستظل .. أبدا – محروسة مصانة – بقوله تعالى : ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ .

بمصر .. التى أحبتك وأحببتها قر عينا – سيدى المسيح .. وهى اليوم .. وكل يوم .. تقرئك السلام .. يا معلم الحب .. وصانع السلام .

وهكذا يتضح لنا مدى ما يتمتع به الشعب المصرى من سلام اجتماعى ووحدة وطنية حقيقية وتعايش سلمى بالمحبة والمودة بين طرفى الأمة [1] .



(١) مقال «وفى مصر الكنانة تتواصل الأعياد» بقلم المستشار عبد العاطى الشافعى عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بجريدة الأهرام المسائى بتاريخ ٧ / ١ / ٢٠٠٨ ص ٥ بمناسبة عيد الميلاد المجيد.

عيد مصرى

مساء يوم السادس من ينـاير ، وفى ليلة السابع من يناير من كل عام يقام قداس عيد الميلاد المجيد ، ويرأس قداسة البابا شنودة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقـسية صـلاة قداس عـيد الميـلاد المجيد بالكـاتدرائية المرقسية بالعباسية بمدينة القاهرة ، وذلك بمشـاركة نخبة من كبار الأساقفة ورؤساء الطوائف المسيـحية المختلفة بمصر ، ويتقـدم الحضور مندوب عن الرئيس حـسنى مبـارك هو السـيد سـعيـد كمـال زادة كبـير أمناء رئاسـة الجـمهـورية ، وممثلون عن رؤساء مـجـالس الوزراء والشعب والشـورى ورؤساء الأحـزاب والسيـد جمال مـبارك أمين لجنة السـياسـات بالحزب الوطنى وعـــدد من الوزراء وممثلى النـقـابات والهـيـئـات الإسـلامـــيـة والشخصيات العـامة والإعلاميين ؛ وذلك لتهنئة أقباط مصـر بمناسبة عيد الميلاد المجـيد ، كما تـقوم القناة الثانيـة بالتليفزيون المصـرى بنقل القداس على الهواء مباشرة .

كمـا يقـوم الرئيس مبـارك بإرسال برقـيات تهنئـة إلى أقبـاط مصـر المغتربين بالخارج مهنأهم بهذه المناسبة ومتمنيا لهم تحقيق المزيد من النجاح والتوفيق ، ولمصرنا العزيزة دوام العزة والتقدم .

ووسط جو من البهجة والمحبة والوئام والألفة يحتفل المسيحيون فى مصـر بعيد الميلاد المجـيد ويشاركـهم فرحتهم المـسلمون فى تظاهرة حب

جميلة تتسم بالمحبة والسماحة ودعما لأواصر الوحدة الوطنية، وتجسيدا لوحدة أبناء الشعب فى نسيجه الوطنى المتماسك .

وفى ملحمة من الحب والوئام الوطنى يتوافد على الكاتدرائية بالعباسية وفود من كبار رجال الدولة يوم السابع من يناير منهم رئيس مجلس الوزراء ورئيس مجلس الشعب ورئيس مجلس الشورى ورؤساء الأحزاب ورجال الإعلام ورموز الدين الإسلامى مثل شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى ووزير الأوقاف الدكتور محمود حمدى زقزوق ومحافظ القاهرة، وكثير من الشخصيات العامة كلهم حضروا لتهنئة قداسة البابا شنودة والأخوة المسيحيين ، هذا بالإضافة للجيران المسلمين الذين يهنئون جيرانهم المسيحيين ، والزملاء المسلمين الذين يهنئون زملاءهم المسيحيين ويشاركونهم فرحتهم تأكيداً للأخوة الوطنية.

هذه هى مصر التى تغنى بها الشعراء وبوحدتها الوطنية، وصدق شاعرنا الكبير صلاح جاهين فى وصف مصر أنا مصر عندى أحب وأجمل الأشياء .

ومشاركة منه للأخوة المسيحيين فى مصر بعيد الميلاد المجيد فقد أصدر الرئيس حسنى مبارك منذ أعوام قراراً باعتبار يوم السابع من يناير كل عام إجازة رسمية لجميع المصالح الحكومية والمدارس والجامعات بمناسبة عيد الميلاد المجيد ، إجازة رسمية لجميع المصريين مثله فى ذلك مثل جميع المناسبات الدينية التى يحتفل بها المصريون .

وبذلك يكون يوم السابع من يناير عيدا مصريا تأكيدا للأخوة الوطنية بما يؤكد متانة نسيج الوحدة الوطنية من مسلمى مصر وأقباطها ، وهو ما تميزت به مصر عبر العصور .

وعلى حد تعبير قداسة البابا شنوده :

إن مصر وطن يعيش فينا .

وهذا هو الانصهار الاجتماعى ، الكل فى واحد .

هذا هو الشعب المصرى الأصيل ..

واستحق هذا اليوم أن يكون عيداً مصريا وطنيا لكل المصريين.



سلام على وطن يوحّد بيننا

لقد عرفت مصر طوال تاريخها بالوحدة والتماسك والتسامح وعلمت الدنيا الإيمان وفشلت مؤامرت الخارج والداخل فى تقسيمها أو التفريق بين أبنائها ، وعرف عن المصريين احترامهم لمعتقداتهم ومعتقدات الآخرين ، وعايش المصريون فى رباط دائم، ولم تعرف حياتهم مطلقا أى نوع من أنواع الفرز الطائفى، رغم محاولات البعض اللعب على وتر «أسلمة المجتمع» ومحاولات آخرين العزف على لحن «الاضطهاد» يجب ونحن نحتفل بأعيادنا الدينية ، الإدراك أن هناك من يحاول النيل من رصيدنا الحضارى، وأن نتنبه للأحداث الصغيرة فى وقائعها الكبيرة فى معانيها، فمن غير المقبول أن يطعن أحد فى ديانة آخر ، ولا يجوز أن يحاول أحد الاعتداء على مكان للعبادة يذكر فيه اسم الله ، وعلينا أن نتصدى لحالات التعصب المتبادلة التى تظهر من حين لآخر ، وغزتها جماعات وأفراد وتيارات وصحف وفضائيات ودعاة من هنا وهناك ، مما أوجد فى نفوس بعض من المصريين ، شعورا زائفا بالتفرق أو بالاضطهاد، ومهّد المناخ لحالة من الترصد والاستنفار بعد أن تسربت ثقافة الانطواء والعزلة والكراهية ، ونجحت فى بعض الأحيان فى جعل الانتماء الدينى يسبق الانتماء الوطنى.

لقد أصبح من الضرورى البحث عن الأسباب الحقيقية وراء حالة الترصد والاحتقان التى أصابت بعض النفوس ، علينا بالطبع أن نعترف بأن هناك الكثير من القضايا والمشكلات الجديرة بالنقاش مع فئات كثيرة فى المجتمع ، مع التأكيد أنه لا ينبغى الحديث عن حقوق دينية وطائفية ، فهذا النوع من الحديث خط أحمر ، يجب أن يقف عنده الجميع ، والحل هو حوار ونقاش يتطرق لكل القضايا على أساس وطنى ، انطلاقا من أن حقوق الوطن والمواطن هو بداية لتخليص النفوس من آثار هذه الحالة ، وأن خطوات الإصلاح التى بدأت ، انطلقت من مبدأ المساواة الكاملة للمواطن المصرى ، فى إطار السعى لتحقيق مجتمع عادل وديمقراطى يعطى فرصا متكافئة لمواطنيه ، يحترم معتقد كل إنسان ، دون إحساس بالتفرقة أو التمييز ، ويكون فيه الدستور مرجعية وملاذ أى مواطن ، وقانون يردع كل من يحاول اللعب بمشاعر الناس ويخلط أهدافه السياسية بالدين ، ومع مناخ إعلامى ومناهج تعليمية تعيد إلينا ثقافة الوطنية المصرية ، نستطيع القول بأننا نسير بخطى ثابتة نحو الدولة المدنية الحديثة ، وثقافة هرم الآباء العظام ، أبونا يوسف وبطرس ومعهم بالطبع شيخنا على ، الذى سنسمع صوته ومعه شهداء العبور ، وهم يهنئون أشقاء الوطن بعيد الميلاد المجيد، ويقولون فى صوت واحد .. سلام على وطن يوحد بيننا، وكل عام ومصر وشعبها بألف خير .



(١) مقال للكاتب الصحفى الكبير الأستاذ مجدى الدقاق بصفحة قضايا وآراء بالأهرام، بتاريخ ٦/ ١/ ٢٠٠٨ ص ١٠ .

احتفال مصر بالعام الميلادى

فى كلمته للشعب المصرى بمناسبة بداية العام الميلادى الجديد ٢٠٠٨ أكد الرئيس مبارك أنه سيواصل تحقيق العدالة الاجتماعية ومساندة الفقراء وتوفير فرص العمل ... وأن مجتمعنا مستقر وآمـــن ولا أحد يستطيع النيل من وحدة المسلمين والأقباط(١).

وقال سيادته فى حديثه للشعب المصرى:

أتحدث إليكم فى بداية عام جديد ، وأتوجه بتهنئتى وتمنياتى لكل مصرى ومصرية على اتساع أرض الوطن ولأبنائه المغتربين فى الخارج .

نودع معا عاما مضى، حمل لمصر ولمنطقتها وللعالم تطورات عديدة وأحداثا متلاحقة ، نودعه ونحن أكثر ثقة بأنفسنا وفى مستقبل وطننا ، ونقبل على عام جديد بمزيد من الأمل والعزم والتصميم ، موقنين أننا على الطريق الصحيح وأن ما حققناه حتى الآن يؤهلنا لتحقيق المزيد فى العام الجديد وما يليه من أعوام .

وأضاف سيادة الرئيس :

نتطلع إلى الداخل المصرى فندرك أننا - رغم ما نواجهه من صعاب وتحديات - فى وضع أفضل مما كنا عليه منذ سنوات قليلة ، ونتمعن فى محيطنا الإقليمى والدولى ، فنحمد الله أننا أحسن حالا من غيرنا ، سلاما وأمنا واستقرارا وإنجازا ، ونزداد تفاؤلا بمستقبل مصر وأبنائها .

---

(١) مانشيت جريدة الأهرام بتاريخ ٢/ ١/ ٢٠٠٨ .

نستقبل العام الجديد باقتصاد أكثر قوة ، يستمر تحسن مؤشراته وتزداد قدرته على جذب الاستثمار وتحقيق معدلات مرتفعة متواصلة للنمو وإتاحة فرص العمل .

نستقبل هذا العام متطلعين إلى موارد جديدة ، تتيح لنا تركيزا أكبر على البعد الاجتماعي وتحقيق العدالة الاجتماعية ، نواصل الوقوف إلى جانب الفقراء ومحدودى الدخل ، نأخذ بيدهم وندعمهم ونوفر لهم حياة كريمة .

نمضى فى عام جديد بمجتمع مستقر آمن ، وسط منطقة تموج بالأزمات وإراقة الدماء ومخاطر التطرف والإرهاب ، مجتمع مصرى يتمسك بوحدته الوطنية ، لا يستطيع أحد النيل من تضامن مسلميه وأقباطه ، أو أن يعرقل مسيرته نحو الحاضر والغد الأفضل .

تخطو مصر إلى العام الجديد بمصداقية ومكانة على المستوى الإقليمى والدولى ، تعكسان ثقلها وتحركها ودورها إزاء نزاعات الشرق الأوسط ، وبعزم لا يتزعزع على مواصلة جهودها ، من أجل القضايا العادلة لأمتها العربية واستقرار منطقتها .

إننا نستقبل عام ٢٠٠٨ بمجتمع أكثر رسوخا فى ديمقراطيته ، وأكثر قوة فى اقتصاده ، وتضامن أبنائه وتكافلهم ، نقف على أعتابه عازمين على المضى فى الإصلاح على جميع محاوره ، والتنمية فى مختلف قطاعات الإنتاج والخدمات .

نستقبل العام الجديد بثقة وأمل ، موقنين بقدرتنا على حل ما نواجهه من مشكلات ، وتجاوز ما نصادفه من صعاب وتحديات ، لا تغيب عنا معالم طريقنا نحو المستقبل ، ونثق بأننا - بعون الله وتوفيقه - سنحقق ما نتطلع إليه من آمال وطموحات .

نمضى على هذا الطريق يدا بيد ، نُعلى شأن مصر ومكانتها ، نلتف جميعا حول رايتها ، ونبنى بسواعدنا مستقبل الوطن وأبنائه .

أتمنى لكم ولعائلاتكم كل الخير فى العام الجديد[1].

وفى هذا الخطاب السياسى والرسمى للرئيس مبارك قائد مسيرة الديمقراطية يتبين لنا مدى ما يتمتع به المجتمع المصرى من سلام اجتماعى وتعايش سلمى ، ووحدة وطنية متماسكة ورعاية وعدالة اجتماعية وتكافل وطنى ، وفى هذا خير دليل على استقرار المجتمع وأمنه .



(١) راجع نص كلمة الرئيس مبارك بمناسبة حلول العام الميلادى الجديد بجريدة الأهرام بتاريخ ٢/١/٢٠٠٨ ص (٣).

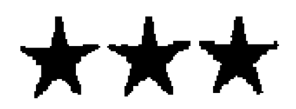
المعالجة الصحيحة

كأى مجتمع فى العالم قد يحدث بين بعض أبنائه نزاع أو أحداث أو شجار لأى سبب من الأسباب؛ سوء فهم أو شائعة مغرضة للوقيعة، أو تهور ، هذا قد يحدث بين مسلم ومسلم ، وقد يحدث بين مسيحى ومسيحى ولكن عندما يحدث بين مسلم ومسيحى - وهى حالات فردية، وليست ظاهرة- وهى أحداث طائفية وليست فتنة طائفية، ينبغى أن تكون المعالجة الصحيحة للإصلاح هى الصلح والتصحيح ولم الشمل، وأن تصب فى مصلحة الوطن ولا تكون المعالجة الصحيحة إعلامية عن طريق «الجعجعة» أو «الشوشرة» أو محاولة تعكير الصفو العام فى الفضائيات ونشر السلبيات وإخفاء الحقائق أو تضخيم الأمور أو تحميلها أكثر مما تحتمل، أو إظهار الشماتة أو محاولة الإيقاع بين عنصرى الأمة وإثارة الفتنة، فهذه معالجة خاطئة مغرضة، وأيضا المعالجة الصحيحة لا تكون أمنية فقط - مع اعترافنا بأهمية التدخل الأمنى- ولكن المعالجة الموضوعية والصحيحة لهذا الموضوع تكون تربوية أولا عن طريق الحوار المحترم البناء وسماع جميع الأطراف عن طريق جلسات الصلح من حكماء الطرفين واشتراك الجهات الأمنية بالتعاون مع رموز المجتمع من سياسيين وحزبيين ومجتمع مدنى ورجال الدين الإسلامى والمسيحى، ويتحلى الجميع بروح المصارحة للوصول إلى المصالحة الحقيقية ويكون الصلح على أساس اجتماع الطرفين الأساسيين ورد الاعتبار لمن وقع الاعتداء عليه ورفع

الظلم عنه بطريقة حضارية تذيب الثليج وتنهى الخصومة والاحتقان ولا تجعل شيئًا يترسب فى النفوس، وكذلك تكون المعالجة الصحيحة عن طريق التوعية الإعلامية وبيان أبعادها بحوار مجتمعى هادىء بما يحفظ أمن المجتمع، وكذلك التوعية الدينية فى المسجد والكنيسة، كل فى موقعه الشيخ فى المسجد ، والقسيس فى الكنيسة يعمل على تهدئة الموقف ولم الشمل وتفويت الفرصة على من يريد إشعال الفتنة ، وعدم الاهتمام بالشائعات، وينبغى أن يكون الحوار راقيا مبنيا على أسس سليمة من الهدوء والتعقل.

أيضا يأتى دور المدرسة فى المعالجة التوعوية التثقيفية للجميع ، وبذلك تتحقق التوعية الإعلامية والمجتمعية الهادئة والهادفة لتكاتف المجتمع واحتواء الأزمة بالحوار الواعى ، ودراسة أبعاد المشكلة وتصحيح الأخطاء دون تهوين أو تهويل ، والحرص على تأكيد الإيجابيات وعدم تكرار السلبيات ، وأن تكون الحلول فى إطار الوحدة الوطنية التى هى حائط الصد لمحاولات الفرقة وزعزعة الاستقرار ، وهى صمام الأمان للمجتمع .

وأيضا تكون المعالجة الصحيحة فى إطار المصلحة العليا للبلاد وحفظ الأمن وحقوق الإنسان، وفى ظل تعزيز مبدأ المواطنة حفاظا على أمن واستقرار ووحدة المجتمع وتماسكه .




الفصل
الرابع

نبي الرحمة

رحمته ﷺ تعددت جوانبها فشملت جميع الخلق ومناحي الحياة، فلقد كان ﷺ رحيمًا بالإنسان والحيوان ، والجماد، وغير المسلمين، عمت رحمته ﷺ الأمة كلها، رحمة بأصحابه، ورحمة بأعدائه وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[١].

وصدق ﷺ حين قال مخبراً عن نفسه: «إنما أنا رحمة مهداة»[٢] ؛ أي رحمة للعالمين إنسهم وجنهم ، هدية لهم من الله تعالى.

والرحمة والعفو من أعظم صفات النبى ﷺ وشمائله الكريمة، وكل صفاته عظيمة وكريمة . كما أن الرحمة والعفو أيضا من مكارم أخلاقه ﷺ التى قال عنها ﷺ : «إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق»[٣].

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى والقدوة الحسنة والرحمة الفعلية في مواقف عملية كثيرة تبين مدى معاملة هذا النبي الكريم ﷺ وخلقه الحسن مع غير المسلمين، وهذه المواقف ينبغي على المسلم أن يستفيد منها ويأخذ منها العبرة والعظة تأسيا برسول الإسلام ﷺ مصداقا لقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[٤].

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ١٠٧.

(٢) أخرجه الحافظ ابن عساكر.

(٣) رواه البيهقى .

(٤) سورة الأحزاب الآية: ٢١.

وعــن الرحمة يقـول ﷺ : «إنما يرحم الله من عباده الرحمــاء»[1].

ويقول أيضًا ﷺ : «من لا يَرحم لا يُرحم»[2].

وعن معنى هذا الحديث يقول الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء هذا عام يتناول الأطفال وغيرهم، أي أنه من لا يَرحم الخلق من مؤمن وكافر وبهائم مملوكة وغيـرها كأن يتعـاهدهم بالإطعام أو السـقي والتخفـيف في الحمل وترك التـعدي بالضرب في الدنيا لا يُرحم أي في الآخرة والله تعالى أعلى وأعلم.

تتـجلى لنا عظمة رحـمة النبي ﷺ في عـفوه العـام عن مشـركي مكة في السنة الثـامنة من الهـجرة عـام فتح مكة؛ وبذلك يـثبت الرسـول ﷺ عمليـا أن رحمته أعلى من الخصومة والعداوة.

فعندما دخل ﷺ مـكة فاتحًا بعدما أُخـرج منها وهي أحب بلاد الله إلى الله وإليه ، وجاء فـتح الله، ونصر الله رسوله والمؤمنين ومَنَّ عليـهم بالفتح ، وأسلم أبو سفيـان ابن حرب – وكان من أشد أعداء الرسـول ﷺ – فنادى منادى الرسول ﷺ : من دخل المسجـد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فـهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن أى آمِن على نفسه وأهله وهو في أمان .

ولما رأه كفـار قريش ومعه المسلمـون وعددهم يزيد على عشـرة آلاف مسلم خافت قريش منهم ، فـقال لهم ﷺ : «ما تظنون أنِّى فاعلٌ بكم» قـالوا خيرًا أخٌ كريم وابن أخٍ كريم – قالوها استعطافًا له – فـإذا بالرحمة تتجلَّى من فمه الشريف ﷺ ويصدر عـفوه العـام عنهم قائلاً: «اذهبـوا فأنتم الطلقـاء» أى أنتم الأحرار، وهذه العبارة سـجلها التاريخ بأحرف مـن نور في كيفية تعـامل الرسول ﷺ مع غير المسلمين ومع أعدائه ومع من ظلمه ، سامحهم وعفا عنهم وهم الذين وضعوا

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

العـراقيل في طريقـه وطريق أصحـابه ودعوته وأرادوا قـتله أكثـر من مرة وقـاتلوه أعنف قتال ، عفا عنهم وهم المشركون وكـان قادراً على الانتقام منهم ، لكنه العفو عند المقدرة ليضرب للمـسلمين مثلا حيا ونموذجًا واقعيا للتـوجيه القرآني الكريـم: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

لقـد عفـا الرسول ﷺ عن أبي سـفـيان بن حـرب الذي كان أشـد الناس عداوة له وحـقداً عليه وغـيرة منه ، عفا عـن هند زوجة أبي سفيـان آكلة كبد عـمه حمزة بن عبد المطلب سـيد الشهداء ﷺ وأسد الله ، عفا عنهم جميـعًا عملا بقول الله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[2].

وهكذا ضرب لنا الرسول ﷺ المثل الأعلى في الرحمـة بالآخرين والعفو عند المقدرة ، - والعـفو من شيـم الكرام ، ورسول الله ﷺ سيـد الكرماء - ولم يفكر في الانتقام لنفـسه وللمسلمين عما أصـابهم في إيذاء قريش لهم رغم قدرته ﷺ على الانتقام منـهم والثأر لنفسه ولأصحـابه ولكنه أَبَى أن يفعل ذلك، ونظر إليهم نظرة مليـئة بالرحمـة والرأفة وعفـا عنهم وأطلق سراحهم ، وهذا من رحـمة الرسول ﷺ بالعالمين مسـلمهم وكافرهم وإنسهم وجنهم مصـداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[3]، حيث جعله الله رحمة ؛ فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة .

هـذه الصـفـة الجليلة العظيـمـة رحمـة الرسول ﷺ هي التـى جمـعت القلوب حول دعـوته ، وتوحدت تحـت قـيادته ، ودخل الناس في دين الله أفـواجًا وآمنوا به وأتم الله النعـمـة على المسلمين ونزل قـوله تعـالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[4].

(١) سورة آل عمران الآية : ١٣٤ .
(٢) سورة الشورى الآية ٤٣ .
(٣) سورة الأنبياء الآية : ١٠٧ .
(٤) سورة المائدة الآية : ٣.

ومن الوقائع الحسية الدالة على رحمة الرسول ﷺ مع أعدائه أنه ﷺ قيل له يا رسول الله ادع على المشركين فقال ﷺ : «إني لم أُبعث لعَّانًا وإنما بُعثتُ رحمة»(١)، وكان يدعو لهم بالهداية أملا أن يهديهم الله ، وكان ﷺ يدعو قائلاً: «اللهم اهدِ قومى فإنهم لا يعلمون»(٢).

ولقد عفا الرسول ﷺ عن ثقيف رغم ما فعلوه معه لكى يعلِّمنا أن صفة العفو عند المقدرة هي أعظم سمات شخصية المسلم وتُكسب صاحبها عزة وكرامة وعظمة في قلوب الآخرين، وهى من الفضائل التي تبعد صاحبها عن الظلم وتعينه على الحق وتأخذ بيده إلى الطريق المستقيم، وصدق الله القائل: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾(٣).

★★★

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٣٧.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كانت المؤاخاة التى عقدها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فى المدينة المنورة عندما دخلها مهاجرا من مكة المكرمة أساسًا لتقوية المسلمين وتأكيد وحدتهم وألفتهم .

وصار المسلمون أمة واحدة بقيادة رسول الله ﷺ الذى وضع أصول السياسة العامة ومقومات الدولة وقواعدها، وأرسى مبدأ المواطنة وأكده.

قال ابن إسحاق : وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: «تآخوا فى الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال : «هذا أخى» فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين ، ليس له نظير فى العباد وعلى بن أبى طالب رضي الله عنه أخوين.

وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ﷺ وعم رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين، وإليه أوصى حمزة يوم أُحد حين حضره القتال، إن حدث به حادث الموت.

وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين الطيّار فى الجنة، ومعاذ بن جبل أخو بنى سلمة أخوين.

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه وخارجة بن زيد بن أبى زهير أخو بلحارث بن الخزرج أخوين.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعتبان بن مالك أخو بنى سالم بن عوف بن الخزرج أخوين.

وأبو عبيدة بن عبد الله الجراح واسمه عامر بن عبد الله وسعد بن معاذ بن النعمان أخو بنى عبد الأشهل أخوين.

وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخو بلحارث بن الخزرج أخوين.

والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخو بنى عبد الأشهل أخوين ، ويقال : بل الزبير وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة أخوين وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخو بنى النجار أخوين . وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخو بنى سلمة أخوين وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأُبى بن كعب أخو بنى النجار أخوين ومصعب بن عمير بنى هاشم وأبو أيوب خالد بن زيد أخو بنى النجار أخوين.

وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعبَّاد بن بشر بن وقش أخو بنى عبد الأشهل أخوين.

وعمار بن ياسر حليف بن مخزوم ، وحذيفة بن اليمان أخو بنى عبس حليف بنى عبد الأشهل أخوين، ويقال: ثابت بن قيس بن الشماس أخو بالحارث ابن الخزرج خطيب رسول الله ﷺ وعمار بن ياسر أخوين.

وأبو ذر وهو برير بن جنادة الغفارى والمنذر بن عمرو المعتق ليموت أخو بنى ساعدة بنى كعب بن الخزرج أخوين.

قال ابن إسحاق: وكان حاطب بن أبى بلتعة حليف بنى أسد بن عبد العزى وعويم بن ساعدة أخو بنى عمرو بن عوف أخوين ، وسلمان الفارسى وأبو الدرداء عويمر بن ثعلبة أخو بلحارث بن الخزرج أخوين.

قال ابن هشام : عويمر بن عامر ويقال: عويمر بن زيد.

قال ابن إسحاق : وبلال مولى أبي بكر رضي الله عنهما مؤذن رسول الله ﷺ وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ثم أحد الفزع أخوين.

فهؤلاء من سمّى لنا ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه[1].

وبهذا الإخاء بين المهاجرين والأنصار ارتبط المسلمون برباط لم تعرفه الدنيا من قبل.. رباط العقيدة، وليس رباط الدم والنسب.. وأخوة الإسلام التي هي أقوى من أي شيء آخر، والوحدة والحب لقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2].



(١) سيرة النبي ﷺ لابن هشام تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ١/ ١٢٣.
(٢) الحجرات : الآية ١٠.

عهد المدينة
ميثاق التعايش بين الشعوب

بعد أن دخل رسول الله ﷺ المدينة المنورة قادمًا إليها مهاجرا من مكة المكرمة، كتب ميثاقا للتعاهد والتعايش بين المسلمين واليهود سمِّى بكتاب رسول الله ﷺ الذى كتبه بين المهاجرين والأنصار لموادعة اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة وقتها وهم : يهود بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ، والذين كانوا أعداءً للأوس والخزرج (الأنصار).

قال ابن إسحاق : كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم جاء فيه:

هذا كتاب من محمد النبى ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبعتهم - أى حالهم - يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم - أى أسيرهم - بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى - أى الدية - وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تَفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحرث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل

طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جُشَم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النَّجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وإن المؤمنين لا يتركون مَفْرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل .

ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان وَلَد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة ؛ يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدة ؛ لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواءٍ وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يُبئ - يمنع - بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يجير

مشرك مالاً لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن وإنه من اعتبط - أى قتل - مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قَوَدٌ به إلا أن يرضى ولىُّ المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحدثا ولا يؤويه ، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد ﷺ ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين؛ لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من أظلم وأثِم فإنه لا يُوتغُ - أى لا يهلك - إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى الحرث مثل ما ليهود بنى عوف، وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف، وإن ليهود بنى جُشَم مثل ما ليهود بنى عوف، وإن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتِغ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وإن لبنى الشُّطَيبة مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن البر دون الإثم أى مانعا عن الإثم والغدر وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة يهود - أى خاصتهم - كأنفسهم، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ وإنه لا ينحجز على ثار جرح ، وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظَلِم ، وأن الله أبرأ هذا ، وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم - أى النفقة معهم فى

الحرب - وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تُجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدَث أو اشتجار - أى اختلاف - يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ ، وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبرِّه ، وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دَهَم - فاجأ أو أغار على - يثرب ، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم ، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة.

وإن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم وأثم ، وإن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله ﷺ »[1].

(١) راجع سيرة النبى ﷺ لابن هشام تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ١/ ١١٩-١٢٣.

كانت هذه المعاهدة بين الرسول ﷺ ويهود المدينة (بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة) الذين كانوا أعداءً للأوس والخزرج (الأنصار) بمثابة وثيقة تعايش بين الشعوب ، وميثاق للتعايش بين المسلمين واليهود، لضمان حياة كريمة وتحقيق عيشة راضية، وكان من حسن تدبير النبى ﷺ أن يبدأ اليهود بالمودة ويبسط لهم يد الأخوة ، ويتفق معهم على التضامن حتى تكون المدينة كلها صفا واحداً وقوة واحدة، ولا ينال منها عدو.

ولا شك أن هذه المعاهدة الخالدة كانت ذات أثر كبير فى تقوية عزائم المسلمين، وحفظ المدينة من مطامع المشركين المعتدين ، ولولا أن اليهود غدروا وخانوا ونقضوا العهود والمواثيق وبدأوا بالعدوان على المسلمين لما وقف رسول الله ﷺ منهم موقف العداء، ولظلت المدينة يغمرها الوئام، ولكن اليهود غدروا وخانوا وبدأوا بالعدوان، فرد الرسول والمسلمون على إساءتهم وظلمهم بما جعلهم عبرة أمام القرون والأجيال، وما ظلمهم الله ولكن كانوا لأنفسهم ظالمين[1].

ونلفت الأنظار هنا إلى أن هذه المعاهدة مع اليهود التى كانت بمثابة ميثاق للتعايش بين أفراد المجتمع أكدت مبدأ المواطنة الذى تتحدث عنه الدول الآن فى القرن الحادى والعشرين؛ وبذلك يكون رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ قد سبق العالم أجمع وكل القادة السياسيين فى إرساء مبدأ المواطنة وتأكيده؛ إذ المواطنة فى تعريف المحللين السياسيين لها فى عصرنا الحالى تعنى أن يحظى كل فرد فى المجتمع بالاحترام من الدولة، ومن المواطنين الذين يختلف عنهم فى الديانة أو الرأى بحيث يتحلَّى الجميع بالتسامح تجاه التنوع الثقافى والعقائدى. وهذا ما أقرته بنود المعاهدة بين المسلمين واليهود بالمدينة منذ ما يزيد عن ألف وأربعمائة عام.

(١) انظر القبس الوضاء فى سيرة خاتم الأنبياء ص١٠٤ .

ولقد تحلّى مجتمع المدينة بقيم أخلاقية نبيلة وتكافل اجتماعى بين أفراده، وذلك بحسن المعاشرة واللطف فى المعاملة والرعاية الكريمة للجوار ولم الشمل والتعايش السلمى وعدم التمييز بين أفراد المجتمع.



التعايش بين الشعوب

إن العصر الحاضر هو عصر التواصل البشري ، وعصر التحاور الثقافي، ويمكن القول إنه عصر التدافع الثقافي، وهذا توجه مهم ومفيد ويلزم المسلمين استقباله والتعامل معه بإيجابية وارتياح ، لأن منهجية الحوار بالبيان والحكمة، منطلق أساسي في منهج القرآن الكريم وأدبيات الدعوة إلى قيم الإسلام التزامًا بالتوجيه الرباني جل شأنه : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(١) .

والمسلمون مطالبون بالحوار مع الناس بما يحقق الرؤية ويجمع الكلمة على المبادئ والقيم الربانية الخالدة وهذا في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾(٢) . ولعلك تدرك أيها القارئ الكريم أن هذه الآية الكريمة جاءت لتقرير مبادئ إسلامية في علاقات المسلمين بغيرهم مثل مبدأ الاعتراف بالآخرين ، ومبدأ الحوار وأهميته ومبدأ استشراف المستقبل في ظل علاقات إنسانية سامية .

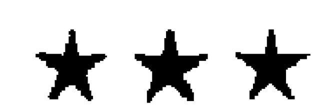
إن المجتمعات مدعوة بأمر الله للتعارف والتعايش وفق القيم والمعايير الإسلامية ، وأن هذا المنهج الرباني العادل وموروثه القيمي والتشريعي وفي ضوء قدراته المادية والسياسية يجعلهم مؤهلين كل التأهيل لأداء مهمتهم ومساهمتهم الإيجابية الفعالة في معترك التدافع الإنساني البشري وإقامة نظام عالمي عادل ينهي

(١) سورة النحل الآية (١٢٥).

(٢) سورة آل عمران الآية (٦٤).

حالة القلق والذعر التي تحيق بالناس، ويصرف أسباب الفساد عن الأرض ويضع حدّاً لتدهور العلاقات الدولية في أكثر من موقع ، ويزيل عوامل الاضطراب والجشع والصراع السياسي والاقتصادي بين الأمم ويضبط حركة التدافع الإنساني ويقيم موازين القسط للتعايش والتعاون البشري ، ويرتقي بمنهج التبادل والتكامل الثقافي بما يحقق للناس تطلعاتهم لحياة إنسانية آمنة مطمئنة تنعم بالأمن والاستقرار والعدل والسلام .

والمسلمون من أجل هذه المهمة الجليلة النبيلة على استعداد لكل حوار بناء مع أي جهة معنية وفعالة شعبيا ورسميا للسير بالإنسانية نحو الخير والفلاح والسلام [1] .



(١) جريدة الأهرام المسائي بتاريخ ٤ / ٥ / ٢٠٠٧ ص ٥، مقال للدكتور أحمد السايح الأستاذ بجامعة الأزهر بعنوان: «التعايش بين الشعوب».

خطاب دينى متجدد

جاء فى توصيات مؤتمر مكة المكرمة الثامن الذى عقدته رابطة العالم الإسلامى برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز بعنوان «الخطاب الإسلامى وإشكاليات العصر» أثناء موسم الحج قبل الماضى والذى كشف عن حاجة العالم الإسلامى لخطاب دينى متجدد ، ينقذ الأمة الإسلامية من تخلفها ويحمينا من المؤامرات الخارجية التى تحاك ضد الإسلام والمسلمين (١).

وأكد المشاركون فى المؤتمر أن أهم سمات الخطاب الإسلامى ، هى أنه ذو مرجعية شرعية يتميز عن غيره من الخطابات بهذه المرجعية التى تحقق له سلامة الهدف ونبل الغاية .

واستنكر المشاركون الخطاب الذى ينشر الدعاية السيئة ضد الإسلام والمسلمين، وينفث سموم التشويه والتحريف لدينهم، ويلصق ظلما واعتسافا تهم الإرهاب والوحشية بهم ، ويذكى روح الكراهية والعداء لهم، ويضعهم ودينهم العظيم فى قفص الاتهام.

وأكد المشاركون أن هذا الخطاب الذى شذ عن القيم الإنسانية ، وتجاهل آداب العلاقات بين الأمم عمل على طمس مبادئ الحق والعدالة

(١) الأهرام - الطبعة العربية - صفحة الفكر الدينى بتاريخ الجمعة ٢٠٠٨/١/٤ بقلم الزميل الأستاذ/ محمد عبد الخالق.

والسلام والأمن والمساواة والحرية والكرامة والتعاون وغيرها من المبادئ السامية ، التى ينشدها الخطاب الإسلامى فى مهمته فى التعريف بمبادئ الإسلام ، وإشاعته لمفاهيم العدل والسلام والتعاون والتعايش بين البشر .

كما أكد العلماء أهمية حوار الحضارات انطلاقا من دعوة الإسلام منذ ظهوره إلى الحوار بين الحضارات، وقد اتخذ النبى ﷺ من العقل والحكمة ، والمجادلة بالحسنى أساسا ومنهاجا لحوار المخالفين ودعوتهم إلى الإسلام ، وأن الحوار واجب دينى تمليه مهمة التعريف بالإسلام والدعوة إليه ، ويؤكده وجوب إزالة سوء الفهم والتصورات الخاطئة التى تُروَّج عن الإسلام .

كما طالب العلماء باستحضار البعد العالمى فى الخطاب القرآنى باعتباره أصلا يستمد منه الخطاب الإسلامى مادته وأسلوبه ، وتناول أبرز مشكلات الواقع الإنسانى فى إطاره العالمى مع ملاحظة الفروق بين ما هو مشترك إنسانى ، وما هو خصوصية حضارية ، مع أهمية العناية بالمقاصد الشرعية للخطاب الإسلامى التى تؤكد عالمية الإسلام ، وتبرز قيمه بوصفه منهاج حياة يقدر الاختلاف والتنويع بين البشر ، ومراعاة الخصوصية الثقافية لغير المسلمين عند توجيه الخطاب إليهم وإشاعة روح التفاؤل المرتكز على الإيجابيات فى الخطاب الإسلامى [1] .



(١) انظر السابق .

حـول حـوار الأديـان

عقـد مؤخرا فى العاصـمة القطرية الدوحة المؤتمر الخـامس لحوار الأديان فى الثامن من مايو ٢٠٠٧ ، وقـد شدد المشاركون فى المؤتمر على أن التـعايش السلمى بين أتباع الديانات السماوية الثـلاث مسألة أساسية ومهمـة ، ومن الواجب التأكيد عليـها بصـورة عمـلية والحـفـاظ عليـها وتطـويرها فـى جو يسـوده احتـرام الحق والواجب بين البشر.

وطالبوا بإيجـاد قاعـدة طيبة للتـلاقى والتفاهم بين أتبـاع هذه الديانات وفى المناقشـات التى جرت فى افـتتـاح المؤتمر نبه الدكتـور أحمـد الطيب رئيس جامـعة الأزهر وممثل الجـانب الإسـلامى فـى المؤتمر إلى **أن الإسـلام ديـن يحـتـرم العـلاقـات مع الأديان الأخـرى ولم يعـتـمـد عـلى السيف فى نشـر رسالته أبدا .**

وأكد الدكـتور الطيب أنه بحث فى القـرآن الكريم ولم يجد كلمـة «سيف» بين مـفرداته على عكـس ما يردده البـعض من أصـحاب الديانات الأخـرى والتى تتضمن دعوات إلى استخدام السيف فى القـتل وفق ما جاء فى سفر «يشوع» نافيا بشدةٍ مهاجمة المسلمين لليهود.. ولكنه أشار إلى أن هجومهم موجه إلى الصهيونية التى توظِّف الدين من أجل تحـقيق أهدافـها فى فلسـطين لافتـا إلى أن الأمر نفـسه يحدث فى العراق والـذى تأســس غـزوه علـى نصوص دينية مؤكداً أنه لا توجد هناك أى آية قرآنية يمكن أن تشكل لافتة لقتل الناس.

ومن جانبه أكد محمد بن مبارك الخليفى رئيس مجلس الشورى القطرى فى كلمته فى افتتاح أعمال المؤتمر أن هذا المؤتمر يهدف إلى إيجاد قاعدة طيبة للتلاقى والتفاهم بين أتباع الديانات السماوية الثلاث: الإسلام والمسيحية واليهودية مؤكداً أن أتباع الديانات السماوية مطالبون ببذل الكثير من الجهد والعمل لتأسيس علاقة أكثر تقاربا وتفاهما فيما بينهم ، وإظهار قدر أكبر من التسامح مع الآخر .

وانتقد بشدة السياسات العالمية المعاصرة المصرة على تجاهل الأديان ودورها المتفرد فى إقرار السلام العالمى وترسيخ قيم الأخوة والمحبة بين الناس .

كما انتقد محاولات البعض فرض ثقافات معينة على شعوب العالم باعتبار أن هذه السياسات تتناقض مع منطق الأديان ، ودعا إلى ضرورة تنقية الشعور الدينى من الضغائن والأحقاد وتدعيم مراكز التدين مؤكداً إيمان المسلمين بحاجة الإنسانية الشديدة إلى هدى السماء ونور النبوة.

كما طالب الدكتور على السمان عضو لجنة الحوار الإسلامى- المسيحى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر بضرورة بلورة لائحة تنفيذية تتوافق مع متطلبات القرن الحادى والعشرين تجمع القيم والقواعد التى تتضمنها صحيفة المدينة والوصايا العشر ورسالة المسيح؛ بحيث تتصدى للقتل والتعذيب والقهر الذى يحدث باسم الدين وبما يعيد الاعتبار لإرادة الشعوب فى الكرامة والاستقلال.

وفى كلمتها أكدت عميدة كلية الشريعة بقطر الدكتورة «عائشة المناعى» أن جميع الأديان المقدسة تدعو إلى السلام والمحبة وأن التطبيق مغاير لذلك واعتبرت أن السلام المنشود لن يتحقق فى ضوء انتهاك حقوق الإنسان .

وفى ختام أعمال المؤتمر تم الإعلان رسميا عن إقامة مركز الدوحة الدولى للحوار بين الأديان الذى سيمارس نشاطه انطلاقا من العاصمة القطرية، وقد عقد

مجلس إدارة المركز اجتماعه الأول بحضور محمد بن عبد الله الرميحى مساعد وزير الخارجية لشئون المتابعة رئيس اللجنة الدائمة للمؤتمرات ، وتقرر أن يقوم مجلس الإدارة بأداء عمله بصورة مستمرة بمقر المركز بالدوحة لمتابعة مقررات المؤتمر وإجراء البحوث والدراسات والتواصل مع المؤسسات والجامعات ومراكز البحوث المحلية والدولية ويتكون المركز من مجلسين : محلى واستشارى دولى.

وأوضحت الدكتورة عائشة المناعى عميدة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر رئيسة اللجنة المنظمة للمؤتمر أن المركز سيجرى اتصالات مكثفة مع بقية دول العالم للاستفادة من التجارب السابقة ووضع تصورات عمله فى المستقبل.

وأكد المؤتمر فى بيانه الختامى أن القيم الروحية والسلام العالمى يمثلان روح الإيمان وأن هناك تدينا واضحا فى معظم المجتمعات فى هذا الجانب موصيا فى هذا السياق بضرورة العناية الفائقة لهذه القيم ونشرها بين سائر طبقات المجتمعات.

كما أوصى المؤتمر بتدريس مقرر مقارنة الأديان بأبعادها الفلسفية والروحية والاجتماعية فى الجامعات والمعاهد كطريق من طرق الإسهام الأكاديمى لإعلاء وتفعيل القيم الروحية.

وطالب المؤتمر القيادات الدينية فى كل المجتمعات الالتزام بلغة التفاهم والمصالحة والحوار وتعميمها بين أبناء شعوبهم مجددا إدانته لكل إساءة للمقدسات الدينية ورموزها وآثارها وشخصياتها.

كما ناشد المشاركون المؤسسات الاجتماعية والإعلامية بتجنب الصور النمطية التى تغذى العداوة بين الأديان .

وفى هذا السياق طالبت مصر المجتمع الدولى والأمم المتحدة بإصدار تشريع دولى يلزم كل الدول بتجريم ازدراء الأديان ، والتى تحمل فى طياتها خطرا على السلم والأمن الدوليين - جاء ذلك فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر وزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامى بإسلام أباد فى كلمة السيد أحمد أبو الغيط وزير خارجية مصر[1].



(١) صحيفة الأهرام بتاريخ ١٦/ ٥/ ٢٠٠٧م الصفحة الأولى.

التعاون والمساواة وحق الحياة

إن شريعة الإسلام قد ضمنت لكل فرد حقوقه الأساسية التى تتمثل فى حفظ النفس ، وحفظ الدين ، وحفظ المال ، وحفظ النسل ، وأول هذه الحقوق الأساسية حق الحياة لكل إنسان .

وقد كرم الله الإنسان - مطلق إنسان- بصرف النظر عن جنسه ، أو لونه ، أو معتقده ، ومن كرّمه الله لا يجوز لأحد أيا كان أن يمتهن كرامته .

ولم يكتف الإسلام باحترام الإنسان فى حياته فقط، بل امتد هذا الاحترام للانسان بعد مماته أيضا ، فالإسلام يحترم النفس الإنسانية أيا كانت ما دامت هذه النفس لم تقدم شرا أو إساءة للإسلام أو المسلمين .

وقد أراد الإسلام أن يرسخ فى أذهان الناس جميعًا معانى وقيما تحملهم على البناء والتعمير ، ليساعدهم بذلك على أداء مهمتهم فى هذه الحياة ؛ وهذه المعانى والقيم تتمثل فى أمور عديدة منها الأخوة والتعاون ، أما الأخوة فقد حض الإسلام وحرص عليها، وهناك أنواع من الأخوة :

أخوة نسب ، وأخوة فى العقيدة ، وأخوة فى الإنسانية ، ولكن الذى يتأمل فى أخوة النسب وأخوة العقيدة يجد أنهما يرجعان فى نهاية الأمر إلى الأخوة فى الإنسانية ، فالله سبحانه وتعالى قد خلق الناس جميعًا من نفس واحدة ، كما يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (١) فكلنا ننتسب إلى أصل واحد ، كما يقول صلى الله عليه وسلم «كلكم لآدم وآدم من تراب» .

---

(١) سورة النساء الآية (١).

ومن هنا فنحن جزء من كل ، كل فرد منا جزء من كل ، ومن أجل ذلك فإن أي إساءة تلحق بأى فرد من أفراد الإنسان تعد إساءة لكل الأفراد الآخرين ؛ لأن الجسم الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، ومن هنا فإن أى إساءة أو عدوان على أى فرد من أفراد الإنسانية يعد عدوانا على الإنسانية كلها ، ونحن جزء من كل ، لا يجوز لأى فرد فينا أن يسيء إلى الآخرين لأنه بذلك يسيء إلى نفسه أيضا .

أما التعاون فهو عصب الحياة ، وعلى أساسه يتبادل الناس المنافع فيما بينهم من أجل قيام مصالح الدين والدنيا معا .

وقد حض الإسلام على التعاون فى الخير ونهى عن التعاون على الشر ، كما جاء فى القرآن الكريم :

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1] وبهذا التعاون على البر والتقوى يستطيع الناس أن يبنوا ويعمرو، يبنوا السلام ، ويصنعوا الحضارة ، وهم مطالبون دائما بالعلم والعمل حتى يعمروا ولا يخربوا .

تلك مبادىء الإسلام الواضحة من قيم عليا هى المحبة والتراحم والسلام والأمن والأخوة ، والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .[2]

ومما سبق يتبين لنا التعايش السلمى والسلام الاجتماعى الذى ننعم به والذى يجب علينا التمسك به استجابة لنداء الواجب وحماية للوطن وبناء المجتمع وتقدمه وازدهاره والعصمة من الانحراف أو التطرف أو الجمود أو الانغلاق وصالح المجتمع والأمل فى غد مشرق كله أمل تنعم فيه الأجيال بالرخاء .

(١) سورة المائدة الآية ٢ .

(٢) السابق هموم الأمة الإسلامية ص ٥٠ ، ٥٦ بتصرف يسير .

أيضا من الخصائص التى تميز المجتمع الإسلامى المساواة باعتبار أن الناس جميعا متساوون فى خصائص الإنسانية ، والتكافل والرعاية الاجتماعية لإبعاد شبح الحاجة عن المجتمع ، والتعاون والتراحم والمحبه والتسامح فهذه القيم هى التى تحكم علاقات المسلمين فى المجتمع الإسلامى ولا تزال هى السبيل القويم لنهضة المجتمعات الإسلامية فى كل زمان ومكان.

وأنه لا يوجد نظام فى العالم يحرص على إقامة هذا التوازن ، وبناء المجتمع على أساس القيم الدينية والإنسانية غير المجتمع الإسلامى الذى شرع له الله ما شرع من مبادىء تحكم مسيرته (١) .

ومن جانبه يؤكد الكاتب الكبير الأستاذ فهمى هويدى أن الإسلام قد سبق الديمقراطية بتقرير القواعد التى يقوم عليها جوهرها ، ولكنه ترك التفصيلات لاجتهاد المسلمين ، وفق أصول دينهم ، ومصالح دنياهم ، وتطور حياتهم بحسب الزمان والمكان وتجدد أحوال المسلمين (٢) .

ولما كنا نعارض مبدأ تقرير الأوضاع الاجتماعية وإقامة الحقوق والواجبات بناء على الاعتقاد الدينى أو السياسى ، وقد اعتبرنا ذلك جنوحا إلى سكة الندامة . ولما كنا ضد التضحية بالدين - كله أو بعضه - لإقرار تلك الحقوق أو العكس ، فإن الحل الذى نعتقد فى صوابه هو ضرورة الفصل بين العقيدى والحضارى أو الاجتماعى .

مقتضى ذلك ألا يحول الاعتقاد الدينى أو السياسى لأى شخص دون تحصيله لحقوقه كاملة ؛ الإنسانية والمدنية والسياسية (٣) .

(١) السابق بتصرف من ص ١٠٢ إلى ١٠٩.
(٢) انظر الإسلام والديمقراطية للأستاذ فهمى هويدى ص ١٤٠.
(٣) السابق ص ٢٠٢.

أستطيع أن أؤكـد أنه بفهـم متـبادل واحترام وتعـاون يعيش المصريون أقـباطا ومـسلمين منذ آلاف السنين وحـتى اليـوم شـعـبـا واحدا يضـمـهـم وطن واحـد ، متـعاونـين متـآخين ، يشاركـون فى الإنتاج والبناء والتـعمـير ، والعـمل الجمـاعى والعمل العام وعلى جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بما يؤكد وحدة الصف وتحقيق السلام الاجتماعى والتعايش السلمى .

وبذلك يتأكد لنا تعزيز مـبدأ المواطنة ؛ إذ المواطنة تعنى أن يحظى كل فرد فى المجـتمع بالاحـتـرام من الدولة ومن المواطنين الذين يـختلف مـعـهـم فى الديانة أو الرأى ؛ بحيث يتحلى الجميع بالتسامح تجاه التنويع الثقافى والعقائدى .



المشاركة النسائية السياسية

أيضا موضـوع المرأة المصرية وتمكينها ، من الموضوعـات المهمة التى تشغل القيادة السياسية والحزب الوطنى يوليها اهتماما كبيرا .

وهى من الموضوعات التى تسهم بشكل كبـير فى السلام الاجتماعى باعـتبـارها نصف المجـتمع وأكـثر ، فـهى الأم والأخت والزوجـة والابنة ، وتأكيدا لمبـدأ المواطنة ، لابد من مساندة المرأة ومساعـدتها وتمكنيها سيـاسيا عن طريق صقلها بالثقافة وإعدادها إعدادا جيدا للمنافسة مع الرجل وتنمية قدراتهـا السياسـية ، وتأهيلها للمـشاركة السـياسيـة لتحتل المكانة المناسـبة واللائقة ، والحـمد لله المرأة فى مصـر الآن أستاذة وسفـيرة ووزيرة وعمـيدة كلية وقـاضية، ورئيسـة جامعة ونطمح فى المزيد أن تكون مـحافظة، وذلك لن يتأتى إلا بـإكسابهـا المهارات والخبـرات المناسبـة وتحصينهـا بالثقـافات وتدريبهـا وتأهيلها للـمشاركـة السيـاسية والعـمل العام وخـدمة المجـتمع وخوضـها انتخابـات المجالس المحلية تمهـيدا للانتخابات الـتشريعيـة سواء مجلس الشعب أو الشورى وتكون قادرة علـى منافسة الرجل بما تقدمه من خدمـات وما تتمـتع به من شخـصية وثقـافة وعلم ومشـاركة مجـتمعـية ، والدولة تولى هذا الموضـوع اهتـمامـا كبـيـرا متـمـثلا فى الحـزب الوطنى وحكومة الحزب والمجلس القومى للمرأة وجهود السيدة سوزان مبارك .

حول هذا الموضوع عقدت محافظة القاهرة مؤخرا بالتعاون مع المجلس القومى للمرأة دورة لتنمية القدرات السياسية للمرأة بهدف إعداد كوادر نسائية مدربة سياسيا على خوض الانتخابات على اختلاف مستوياتها وأنواعها . (١)

حضر الجلسة الافتتاحية للدورة والتى رأسها الدكتور عبد العظيم وزير محافظ القاهرة والمستشار عدلى حسين محافظ القليوبية والدكتور فتحى سعد محافظ الجيزة (وقتها) ود/ فرخندة حسن الأمينة العامة للمجلس القومى للمرأة والسيدة عائشة عبد الهادى وزيرة القوى العاملة وعدد من الشخصيات العامة .

وأشار الدكتور عبد العظيم وزير إلى أهمية هذه الدورة حيث يشهد المجتمع المصرى فى الوقت الحالى نقلة نوعية فى مسيرة المرأة المصرية ومشاركتها فى الحياة السياسية وتمثيلها فى مراكز اتخاذ القرار بشكل غير مسبوق مما يتطلب بذل الجهد لتهيئة الرأى العام لقبول المرأة كمرشحة إلى جانب تهيئه المرأة التى تريد خوض الانتخابات بإكسابها مهارات وخبرات خوض المعركة الانتخابية .

وأكد المحافظ أن المجالس الشعبية المحلية تأتى باعتبارها أحد المجالات التى تظهر فيها إسهامات المرأة وسعيها للمشاركة فى اتخاذ قرارات تنمية مجتمعها بل وتعد ميدانا خصبا لاكتساب مهارات خوض الانتخابات البرلمانية .

---

(١) الأهرام المسائى ٦/ ١/ ٢٠٠٨ ص١٠ متابعة الزميل الأستاذ أحمد العرابى.

ونقلت الدكتورة فرخندة حسن الأمينة العامة للمجلس القومى للمرأة للمشاركات فى الدورة تحيات السيدة الفاضلة سوزان مبارك ودعمها لكل المشاركات فى الدورة مشيرة إلى أن هذه المرحلة تتسم بتعديلات تشريعية وبرنامج طموح للسيد الرئيس يتم تنفيذه بدقة مطالبة بضرورة التعاون بين جميع الأطراف من أجل تنفيذ هذا البرنامج الذى تحتل فيه المرأة مكانا مميزا ، مؤكدة ترسيخ مبدأ المواطنة .

وأشارت إلى أن هذه الدورة تستهدف حشد الرأى العام لتمكين المرأة من تبؤ مكانها ولعب دورها فى الانتخابات المحلية المقبلة ، مطالبا المحافظين ورؤساء الأحزاب بدعم ترشيح كوادر نسائية فى الانتخابات .

ومن جانبه طالب المستشار عدلى حسين محافظ القليوبية المرأة ببذل قصارى جهدها للحصول على نسبة تمثيل فى المجالس المحلية، لا تقل عن ٣٠٪ مؤكدا ضرورة وجود نص قانونى فى قانون الإدارة المحلية المرتقب يكفل وجود نسبة ملائمة للمرأة .

وأكد الدكتور فتحى سعد محافظ الجيزة (آنذاك) ضرورة تكثيف وجود المرأة كما وكيفا فى المجالس الشعبية التى وصفها بأنها المطبخ الرئيسى للتدريب على خوض الانتخابات للوصول لمجلسى الشعب والشورى.



كلمة أخيرة

هذه هى مصر التى تعيش فينا ونعيش فيها .. وهذه هى الوحدة الوطنية الحقيقية.. وهذه هى صورة المجتمع المصرى؛ الكل فى واحد، نسيج واحد، ومثال للمواطنة، فلتخرس كل الألسنة، ولتصمت كل الأبواق الزاعقة، ولتسقط كل الأقنعة الزائفة ممن لا هم له سوى الصراخ والعويل أمام الفضائيات ليل نهار لمحاولة تشوية صورة مصر، ولن يفلحوا فشعب مصر بخير وشباب مصر واعٍ.

إن الإشكاليات والتحديات التى تواجه المجتمع ينبغى أن نواجهها جميعا بوحدة الصف، والتماسك الاجتماعى، وعدم الاهتمام بالصغائر وتفاهات الأمور، انطلاقا من أرضية الوحدة الوطنية الضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ والتى تميز شعب مصر عن غيره من الشعوب وتعتبر سر التماسك المجتمعى المصرى، فلا عرقية، ولا إثنية، ولكن مصرية خالصة.

وأقول للأصوات التى تحاول النيل من وحدتنا الوطنية وتماسكنا: لن تفلح هذه المؤامرات؛ فالمصريون قادرون على حل مشكلاتهم دون تدخل من أحد، ولا داعى للاستقواء بالخارج.

وهناك أحزاب سياسية ومنتديات ثقافية وفكرية ومؤتمرات عديدة تقام بمصر بجامعة الأزهر، وبالمراكز المصرية المتخصصة المتنوعة، وتناقش جميع القضايا دون خطوط حمراء، ويُدعى لها أساتذة جامعات مسلمين ومسيحيين وكتّاب وعلماء دين إسلامى ورجال دين مسيحى، ومن هذه

المنتديات المهمة منتدى حوار الثقافات الذى تقيمه الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية وتقوم بجهد مشكور فى ذلك وبأسلوب رشيد وصوت هادئ، كل ذلك بهدف الإصلاح ومشاركة صانعى القرار فى تقديم الحلول انطلاقا من مبدأ مناقشة قضايانا فى الداخل وليس عبر الفضائيات حتى لا نسيء لأنفسنا ونشوه صورتنا ونقدِّم خدمة جليلة لأعدائنا.

وأقول لشباب مصر.. أنتم أمل مصر، وثروتها الحقيقية، شباب اليوم، وقادة الغد، لا تصدقوا كل ما ينشر عبر شبكة الإنترنت؛ فقليله صادق صحيح وكثيره مزيف وخطأ، ومعلومات مضللة ... هدفها التشكيك في أفكاركم ومعلوماتكم وإضعاف الانتماء لديكم، وبث روح التشكيك فى نفوسكم بشأن كل الحقائق والأعراف الاجتماعية.

شباب مصر الواعى الواعد .. أنتم ذخر الأمة، فلا تستجيبوا لمحاولات التشويش عبر الفيس بوك أو بعض الفضائيات التى لا تريد الخير لمصر وتكاتفوا وتلاحموا، وفوِّتوا الفرص على الأعداء، الذين يريدون شق الصف الوطنى وتفتيت النسيج الاجتماعى.

اطلبوا العلم من مصادره الأصلية واعملوا لرفعة شأن الوطن فقوتكم من قوته وانظروا للدنيا بمنظاركم أنتم وليس بمنظار خارجى يريد تخريب العقول وإفساد الحياة بين أبناء الوطن، فمصر بفضل الله ستظل قوية، شامخة عزيزة محفوظة من الله لتثبت كل يوم أنها فوق كل الصغائر وأنها نسيج واحد والكل يتمتع بالمواطنة وحرية الاعتقاد وديمقراطية الرأى، فالمواطنة الحقيقية تهدف إلى التنمية، والتماسك الاجتماعى.

الخاتمة

الحمد لـله رب العالمين، القائل فى محكم كـتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (١)، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة؛ والسراج المنيـر الذى أخبر عن نفسه قائلا: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٢) وبعد:

فـإن الوحـدة الوطنيـة ، بحمـد الله ، كـانت وسـتظل إلى الأبد هى الحـصن الحصين ، والدرع الواقية ، والسياج المنيع ، وصمام الأمان الذى يحمى أمن الوطن ويصونه، ويحقق الاستقـرار والهدوء والأمان الذى ينعم به الشعب المصرى كله ، وهى التى يجنى المواطنون ثمارها فى حياة كريمة وإنتـاج وعمل متواصل ومواجهة التحديات والصعاب وتحقيق التنمية والعدالة الاجتماعية والرقى والتقدم .

من خلال هذا الكتـاب، يتبين لك عزيزى القـارئ مدى ما يتمـتع به الشعب المصرى من سلام وتعايش سلمى وأمن وأمان لأنه شـعب مسالم ، وأن العلاقة بين عنصرى الأمة وطيـدة وضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ ، وأن تضـامن المجتمع وتمسكه بوحـدته الوطنيـة لا يستطيع أحـد النيل منه ، لأن الجـبهـة الداخلية وحـدة واحدة متماسكة صامدة فى مواجهة الفتنة .

وإن قضـيتـى العدالة الاجـتمـاعيـة والمواطنة تأتى فى مقـدمة أجندة العـمل الوطنى وأن هناك تـواصلا بـين طوائف الشـعب أقـبـاطا ومـسلمين مع بعـضـهم

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

(٢) رواه البيهقى.

البعض، ومع القيادات السياسية والتنفيذية والشعبية والمشاركة فى الأفراح والتهنئة بالأعياد والمواساة فى الأحزان والوقوف معًا فى وقت الأزمات ومواجهة التحديات؛ كل ذلك يؤكد روح المحبة السائدة بينهم ، والتعاون والتسامح الذى يتمتع به المصريون جميعًا .

إن تعزيز المواطنة وتأكيدها وتأصيل الانتماء فى نفوس المواطنين ، يتطلب تضافر كل الجهود لترسيخ هذه الثقافة فى أذهان الشباب والكبار على السواء وانعكاس ذلك على سلوكهم اليومى والحياتى من احترام الآخر وقبوله ، وسماع الرأى الآخر ، وتمكين المرأة وتعزيز دورها فى دعم مسيرة الديمقراطية والوعى الوطنى ونشر ثقافة حقوق الإنسان والتعايش السلمى بين أتباع الديانات ، وتعزيز مسيرة الديمقراطية، وحرية الرأى والتعبير ، ودعم حقوق المواطنة . هذا كله ليس مسئولية الإعلام وحده وإنما هو مسئولية مشتركة لجميع مؤسسات المجتمع حكومية وغير حكومية ، ومؤسسات مجتمع مدنى، والبيت والمدرسة والجامعة، والمسجد والكنيسة ، والنوادى ومراكز الشباب ، والأحزاب ، وذلك كله فى إطار المصلحة العامة للمجتمع والصمود أمام التحديات الكبرى التى تواجهها الأمة من خلال التعاون والعمل والتواصل الاجتماعى.

كما تناولت فى الكتاب - الذى أعتبره وثيقة اجتماعية مصرية مهمة - تعريف السلام الاجتماعى، وأهميته فى تحصين الشباب وحمايته من التطرف والإرهاب ، وأن شعب مصر متدين مسالم بطبعه ، شعب حضارى ينعم بالسلام الاجتماعى والتعايش السلمى .

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يوفقنا الله جميعًا لما فيه الخير.

بدوى طه

يناير ٢٠٠٨ م

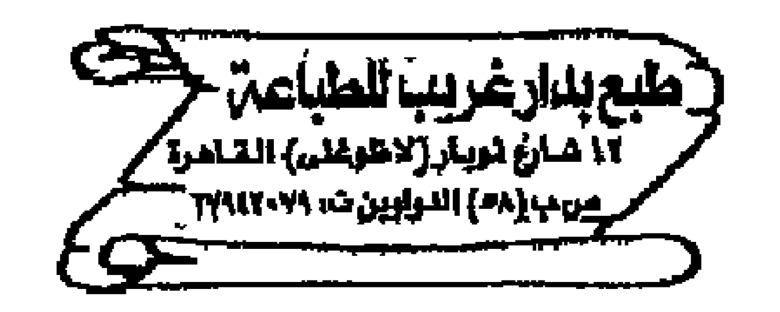
المراجـــع

- القرآن الكريم.
- صحيح البخارى.
- الإسلام وقضايا الحوار للدكتور حمدى زقزوق.
- الإسلام والديمقراطية للأستاذ فهمى هويدى.
- الإسلام والمسيحية فى مواجهة الإرهاب والتطرف للأستاذ أنور محمد.
- الأموال لأبى عبيدة.
- الحركة الصليبية للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور.
- السلام الاجتماعى للأستاذ المحامى عبد المجيد نافع.
- المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية للمستشار طارق البشرى.
- البيان المحمدى للدكتور مصطفى الشكعة.
- القبس الوضاء فى سيرة خاتم الأنبياء للدكتور الطيب النجار.
- النظام السياسى للدولة الإسلامية للدكتور سليم العوا.
- سيرة النبى ﷺ لابن هشام تحقيق محيي الدين عبد الحميد.
- مختصر سيرة ابن هشام.
- هموم الأمة الإسلامية للدكتور حمدى زقزوق.
- الأهرام.
- الأهرام المسائى.

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع



هذا الكتاب

يتناول المؤلف فى هذا الكتاب بعض الأحداث، والنماذج الحسية، والمواقف العملية من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى التعايش السلمى بين المسلمين وغيرهم، وتحقيق السلام الاجتماعى بين عناصر الأمة، والتعايش بين الأديان عبر ميثاق المدينة الفريد الذى سبق به الإسلام منظمات حقوق الإنسان بأكثر من ألف وأربعمائة عام مما يدل على عالمية الإسلام.

كما يتناول الكتاب الحديث عن المواطنة والعدالة الاجتماعية والتعاون الإيجابى بين أبناء المجتمع، والوحدة الوطنية ، وحقوق الإنسان فى الإسلام ؛ لتوضيح الحقيقة وتنوير البصيرة بسماحة الإسلام وأخلاقيات المسلمين فى معاملة غير المسلمين، وبيان احترام الإسلام لآدمية الإنسان مما يوكد سماحة ورحمة وعدالة الإسلام ووسطيته.

وأخيراً .. يقدّم الكتاب دراسة توضيحية لحقائق الحياة الثق
والفكرية والسياسية بطريقة واقعية تعيد النظر فى كثير
المفاهيم المغلوطة عن الإسلام وأتباعه بما يقرب بين الشع
والأمم والأفراد من أجل سلام وسلامة العالم.

